بلاغة أجوبة النساء

من كتاب الأجوبة المسكتة

لابن أبي عون (ت ٣٢٢هـ) "

أجوبة قوة الحجة ورد الخصم نموذجاً"

أ.د/ هدى أحمد محمد زين

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة جامعة الأزهر

بلاغة أجوبة النساء من كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون (ت ٣٢٢هـ) " أجوبة قوة الحجة ورد الخصم نموذجاً"

هدى أحمد محمد زين

قسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة – جامعة الأزهر – مصر .

الملخص :

فإن الأجوبة المسكتة انجذب إليها الناس منذ أقدم العصور ، وذاعت شهرتها في الأوساط الأدبية والعلمية، وبين العامة والخاصة؛ وذلك لوجازتها؛ وشدة تأثيرها؛ وقدرتها على الإقناع والإمتاع؛ وعذوبة ألفاظها؛ وقدرتها على الإثارة والتشويق عن طريق الحوار والقصص القصيرة؛ وكذلك لتفننها في تنوع الألوان البلاغية وفنونها مما كان له الأثر الطيب في إزالة الملل ، وجذب الانتباه ، فكذلك يتلقاها قلب المتلقي والقارئ كتلقي التربة الكريمة للغيث ، وهذا الأثر يأتي حينما يكون المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ، ومنزهاً عن الاختلال ، مصوناً

عن التكلف فيصنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة.

ومن هنا أخذ الجواب المسكت مكانته البلاغية والأدبية والاجتماعية؛ لقدرته على شحذ الهمم؛ وإمداد اللغة بالثروة اللفظية اللازمة؛ وقدرته على تغيير السلوكيات؛ والدعوة إلى محاسن الأخلاق مع وجازة هذه الأجوبة وتنوعها ما بين الأجوبة المسكتة الحوارية، أو المفحمة للخصم، أو الاجتماعية ، أو الثقافية ، أو الدينية، أو غيرها مما تتبعه البحث وحواه.

الكلمات المفتاحية : بلاغة – أجوبة النساء – كتاب الأجوبة المسكتة – ابن أبي عون– "أجوبة قوة الحجة ورد الخصم .

The eloquence of the women's answers from the book of answers to The Son of Abu Aoun (T322 Ah) "The answers to the power of argument and the response of the opponent as a model"

Huda Ahmed Mohammed Zain

Department of Rhetoric and Criticism at the Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Cairo, Al-Azhar University, Egypt.

Abstract:

The answers that have been held have attracted people since ancient times, and have been famous in literary and scientific circles, and between the public and private; Suspense through dialogue and short stories, as well as for its art in the diversity of rhetorical colors and arts, which had a good effect in removing boredom, and attracting attention, as well as received by the heart of the recipient and reader such as receiving the precious soil of the ghaith, and this effect comes when the meaning is honorable, The word is eloquent, and it was true to print away from coercion, and to keep it from imbalance, protected

For cost, the ghaith is made in the heart in the precious soil.

Hence, the silent answer took its rhetorical, literary and social status; for its ability to sharpen inspiration; to provide language with the necessary verbal wealth; its ability to change behaviours; and to advocate for the merits of morality with the merits of these answers and their diversity between the answers of the dialogue, the understanding of the adversary, social, cultural, religious, or other research and its content.

Keywords: Eloquence - Women's Answers - The Book of Silent Answers - Ibn Abi Aoun - "Answers to the power of argument and response of the opponent.

المقدمة

الحمد الله الذي خلق الإنسان، وميزه بالبيان، والصلاة والسلام على خير الأنام، سيدنا محمد الذي بلغ عن ربه، وأفصح عن تعاليم دينه بأعذب الكلمات، وأجمل اللغات، وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ،،،،

فإن الأجوبة المسكتة انجذب إليها الناس منذ أقدم العصور ، وذاعت شهرتها في الأوساط الأدبية والعلمية، وبين العامة والخاصة؛ وذلك لوجازتها؛ وشدة تأثيرها؛ وقدرتها على الإقناع والإمتاع؛ وعذوبة ألفاظها؛ وقدرتها على الإثارة والتشويق عن طريق الحوار والقصص القصيرة؛ وكذلك لتفننها في تنوع الألوان البلاغية وفنونها مما كان له الأثر الطيب في إزالة الملل ، وجذب الانتباه ، فكذلك يتلقاها قلب المتلقي والقارئ كتلقي التربة الكريمة للغيث ، وهذا الأثر يأتي حينما يكون المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ، ومنزهاً عن الاختلال ، مصوناً عن التكلف فيصنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة. ([1])

ومن هنا أخذ الجواب المسكت مكانته البلاغية والأدبية والاجتماعية؛ لقدرته على شحذ الهمم؛ وإمداد اللغة بالثروة اللفظية اللازمة؛ وقدرته على تغيير السلوكيات؛ والدعوة إلى محاسن الأخلاق مع وجازة هذه الأجوبة وتنوعها ما بين الأجوبة المسكتة الحوارية، أو المفحمة للخصم، أو الاجتماعية ، أو الثقافية ، أو الدينية، أو غيرها مما تتبعه البحث وحواه.

---

[1]) يراجع: البيان والتبيين للجاحظ ٨٧/١ ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ١٤٢٣هـ .

ولما كان كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون (ت٣٢٢هـ) يحتوي على أجوبة متنوعة، موسومة بتلك الصفات، بلغت (١٣٩٤) جواباً في تسعة أبواب، قام (ابن أبى عون) بنقلها، وأحسن اختيارها وجمعها وتصنيفها، فقد قمت باختيار هذا الكتاب ليكون محلاً لدراستي، ثم اخترت للدراسة باب (من أجوبة النساء) خصوصاً والتي بلغت شواهدها (٦٧) سبعة وستين جواباً، ظهر من خلالها قدرة المرأة البلاغية بذكائها وحيلتها، وبداهتها، وقوة شخصيتها، وثقافتها المتنوعة، ثم نظرت إلى تلك الأجوبة فوجدت أنها تنوعت بين أجوبة ساخرة ، وماجنة ، أو أجوبة للتلطف والتهذيب ، أو أجوبة قوة الحجة ، أو أجوبة لرد الخصم وإفحامه، وغير ذلك، فهي أجوبة متشعبة كثيرة يصعب الإحاطة بكل مظاهر البلاغة فيها تحليلاً ودراسة، فظهر لي أن الدراسة ستطول، فاقتصرت على أجوبة النساء التي تضمنت قوة الحجة والرد على الخصوم نموذجاً لما أردته؛ وذلك لاشتمالهما على النكات البلاغية المقنعة، والمؤثرة على متلقيهما، وكذلك لتنوعهما واشتمالهما على الهدف المراد من البحث، كما أن هذه الأجوبة بلغ عددها (٣١) واحداً وثلاثين شاهداً، جمعت أحوالاً ومقامات جامعة مانعة متنوعة تنوعاً فريداً وافياً بالغرض من البحث.

ومن هنا فقد وقع اختياري ليجيء بحثي تحت عنوان: بلاغة أجوبة النساء من كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون (ت ٣٢٢ هـ) (أجوبة قوة الحجة ورد الخصم نموذجاً).

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن أتخير له منهج التحليل البلاغي الذي يقوم على حصر أجوبة النساء التي تضمنت قوة الحجة أو الرد على

الخصم، وقراءتها قراءة متأنية، ثم تحليلها بلاغياً واستخراج خصائصها النظمية، مع الاستعانة بسياق الجواب ومعاني مفرداته، وسياقه التاريخي.

أما عن خطة البحث فقد اشتملت على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، ثم ثبت لأهم الفهارس الفنية.

أما المقدمة : فقد اشتملت على أهمية الموضوع ، واسباب اختياره ، ومنهجه ، وخطته.

أما التمهيد فكان عنوانه: نبذة عن ابن أبى عون وكتابه الأجوبة المسكتة، وقد اشتمل على:

أولاً: التعريف بابن أبي عون.

ثانياً: التعريف بكتاب الأجوبة المسكتة ، ومفهوم الجواب المسكت.

ثالثاً: أجوبة النساء عند ابن أبى عون ومنهجه فيه.

المبحث الأول: بلاغة أجوبة النساء في كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبى عون أجوبة قوة الحجة.

المبحث الثاني: بلاغة أجوبة النساء في كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبى عون أجوبة رد الخصم.

الخاتمة : وتحتوي على أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، ثم ثبت لأهم الفهارس الفنية .

وفى النهاية أسأل الله أن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني ، وأن يتجاوز عن أخطائي، فما من عمل بشري إلا يعتريه النقص ، فالكمال لله وحده.

{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]

الباحثة

التمهيد

نبذة عن ابن أبي عون وكتابه الأجوبة المسكتة

أولاً : التعريف بابن أبي عون:

***اسمه ونسبه : هو إبراهيم بن محمد بن أبي عون أحمد بن المنجم أبو اسحاق. ([١])**

***مولده : اختلف العلماء فى مولد ابن أبي عون نتيجة عدم ذكر المصادر شيئاً عن تاريخ مولده ولا مكان ولادته.([٢]) ولذلك لم يحددوا تاريخاً جازماً لذلك ، ولكنَ محققة كتاب (الأجوبة المسكتة) قد ذكرت أكثر من تاريخ ، ورجحت الرأي القائل بأن مولده ما بين ٢١٠ هـ ، ٢١٥ هـ .([٣])**

***حياته ونشأته: عاش (ابن أبي عون) حياه مرفهة فى بيئة علمية، وأدبية ورثها من أسرته ،كما ورث ملكة الشعر عن عائلته وقد ترعرع ،واشتد عوده فى البصرة موطن العلم والأدب المنافس لبغداد والكوفة ، ثم**

---

[١]) ينظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل الصفدي تح د/ أحمد الأرناؤوط – ود/ تركي مصطفي أيبك ٨/٤ ، دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة الدمشقي ٩/١ ، مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربي بيروت (د–ت) ، والفهرست لابن النديم تح د/ إبراهيم رمضان ١٨١/١ ، دار المعرفة بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، والأعلام للزركلي ٦٠/١ ، الناشر دار العلم للملايين ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢م .

[٢]) الأجوبة المسكتة لابن أبي عون (ت ٣٢٢هـ – ٩٢٤م) ص٦ تح د/ مي أحمد يوسف، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط٢ ، ١٩٩٦م.

[٣]) المرجع السابق ص ١١.

انتقل مرة أخرى إلى بغداد بعد أن بلغ الصبا حيث موطن الخلافة وموئل العلم والعلماء ، ومن هناك انتقل ليتقلد المناصب الإدارية والقيادية في جهاز الدولة فيما بعد([1]) .

*ثقافته:

تنوعت ثقافة (ابن أبي عون) ما بين الثقافة العربية وغيرها ،والتي استقاها من بيئته التي عاش فيها ، فتنوعت تلك الثقافات ما بين الثقافة الدينية ، والعلمية ، والأدبية والفلسفية وغيرها ، ويمكن تصنيف هذه الثقافات إلى :

١- الثقافة الدينية.

٢- اللغة والنحو .

٣- الشعر والأدب.([2])

*مؤلفاته :

تنوعت مؤلفات (ابن أبي عون) تبعاً لتلك الثقافات المتنوعة التي اختزلها، فكانت ما بين الأدبية ، والإدارية ، والتاريخية وغيرها .

وهذه المؤلفات كالتالي:

أ- في مجال الأدب :

١- كتاب التشبيهات: هو كتاب عمد فيه (ابن أبي عون) إلى اختيار نماذج شعرية بعينها تتميز بالتشبيه الجميل ، والصورة النادرة. ([3])

---

[1]) المرجع السابق ص ١٨ .

[2]) المرجع السابق ص ١٨ وما بعدها .

[3]) الأجوبة المسكتة ٢٣ ، والفهرست ١٨١/١ .

٢- كتاب الأجوبة المسكتة: هو عبارة عن مجموعة ضخمة من الأجوبة المسكتة الذكية بلغت (١٣٩٤) جواباً في تسعة أبواب([١]).

٣- مثل الشهاب([٢]).

ب-<u>في مجال الإدارة والتنظيم :</u>

١- كتاب بيت مال السرور.([٣])

٢- كتاب الدواوين.([٤])

٣- الرسائل.([٥])

٤- النواحي والبلدان.([٦])

***<u>شخصية ابن أبي عون وصفاته</u>** :

مما لا خلاف فيه أن (ابن أبي عون) تأثر بمؤثرات كونت شخصيته سواء أكانت هذه المؤثرات وراثية اكتسبها من بيئته ومخالطيه، أو من جهات

---

[١] الأجوبة المسكتة ٢٣ ، ومعجم المؤلفين ٩/١ .

[٢] الأجوبة المسكتة ٢٣ ، والوافي بالوفيات ٨١/٤ .

[٣] الأعلام ٦٠/١ ، والفهرست ١٨١/١ .

[٤] الأعلام ٦٠/١ .

[٥] الأعلام ٦٠/١ .

[٦] الأجوبة المسكتة ٢٤ ، ومعجم المؤلفين ٩/١ .

خارجية ، فقد كانت شخصيته متسلطة ،لأن والده كان حاجباً لمحمد بن عبدالله بن طاهر([1]) ، وكان قائداً عنيفاً فأثر ذلك فيه.

واتصف بالذكاء المتميز وقوة الذاكرة، وظهر ذلك من خلال مؤلفاته التي امتلأت بالشواهد المتنوعة([2]) وقد انعكست هذه الصفة على أدبه؛ فعنوان كتابه (الأجوبة المسكتة) ينم عن قوة شخصية صاحبه، وميله إلى إفحام خصومه عن طريق الجواب المسكت والرد الذكي([3]).

***وفاته**:

مات ابن أبي عون مقتولاً، وذلك لمَّا صاحب الشلمغاني([4]) واتبعه في مذهبه الذى يدعو فيه إلى الإلحاد، فقتله الراضي العباسي([5]) صلباً

---

[1]) هو : أبو العباس محمد بن عبد الله بن ظاهر الخزاعي ؛ كان شيخاً فاضلاً ، وأديباً شاعراً ، وهو أمير ابن أمير ، ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل ، وكان مؤلفاً لأهل العلم والأدب ، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان تح د. إحسان عباس ٩٢/٥ ، دار صادر – بيروت، ١٩٩٤م .

[2]) الأجوبة المسكتة ص ٢٦ " بتصرف " .

[3]) الأجوبة المسكتة ٢٤.

[4]) هو : محمد بن جعفر بن أبي الفرافر الشلمغاني الذنديق ، أحدث مذهب الرفض في بغداد، قال بالتناسخ وحلول الألوهية فيه ... قبض عليه ابن مقلة وسجنه ... وأفتى العلماء بإباحة دمه، ينظر الوافي بالوفيات ٨١/٤ .

[5]) هو : الراضي بالله محمد بن جعفر بن أحمد الراضي بالله أمير المؤمنين بن المقتدر بن المعتضد، كان سمحاً واسع النفس أديباً شاعراً حسن البيان كريم الأخلاق محباً للعلماء مجالساً ، ينظر: الوافي بالوفيات ٢٢١/٢ .

مع الشلمغاني، وكان ذلك في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة([1]).

ثانياً: التعريف بكتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون:

١- كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون

أ- منهج الكتاب :

يعد (ابن أبي عون) من أعيان الكتَاب([2]) ويُعد كتابه (الأجوبة المسكتة) من الكتب الأدبية والبلاغية التي لها شهرة عالية ، لاشتمالها على التهذيب والإصلاح ، والسمر والتظرف ، ولذلك لما اشتمل عليه من أجوبة ذكية حاضرة وموجزة.

ويدل عنوان الكتاب على أنه مجموعة من الأجوبة الحاذقة يرد بها المسئول على من يسأله ليفحمه بالجواب المسكت، وهذه الأجوبة سرد لبعض الأخبار والقصص والنوادر والأمثال ثم تأتى عملية اختياره لتلك الأجوبة وتبويبها وتنظيمها ،لئلا يختلط الجد فيه بالهزل ، والواعظ بالمضحك ، والركين بالركيك([3])

---

[1]) هو : أبو إسحاق محمد ، وقيل : أحمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل الهاشمي ، العباسي، ولد سنة سبع وتسعين ومائتين، وأمه رومية ... آخر خليفة خطب الجمعة، ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠٣/١٥ تح/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة – ط ٣، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، والوافي بالوفيات ٨١/٤ .

[2]) الوافي بالوفيات ٨١/٤ .

[3]) الأجوبة المسكتة من ٣٧ – ٤٠ .

والأجوبة المسكتة: " أصعب الكلام كلّه مركبا، وأعزه مطلبا، وأغمضه مذهبا، وأضيقه مسلكا؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة الفكرة، واستعمال القريحة، يروم في بديهته نقض ما أبرم القائل في رويته ".([1])

وفي "الأجوبة المسكتة" نجد ألواناً من المتعة والتسلية، بالإضافة إلى الحكمة والبديهة لكثرة ما يضمه الكتاب من أجوبة هزلية، وفكاهات طريفة، ونكات ظريفة مما كان يدور في مجالس أنسهم وجلسات طربهم ومنتدياتهم الخاصة.

كما يلاحظ في هذه الأجوبة :

أنها تخلو من آية ملاحظة أو تعليق للكاتب نفسه ، فهو يكتفى بإيراد الوحدات بالترتيب الذى اختاره هو لها ، فكان اختيار المادة وترتيبها في كتابه هي لغة التخاطب بينه وبين القارئ، ومع هذا فقد استثنى بعض المواطن المحدودة جداً، حيث ربط (ابن أبي عون) بين الرد وبين جواب حكمي وشعري يناظره في المعنى أو المغزى([2]).

ب- أبواب الكتاب:

يتكون هذا الكتاب من تسعة أبواب ، بالإضافة إلى مقدمة قصيرة.

أما أبواب الكتاب فهي على الترتيب :

١-الجوابات الجدية. ٢-جزء من جوابات الفلاسفة والحكماء.

---

[1]) العقد الفريد لابن عبد ربه (٤/ ٨٩) طبع دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.

[2]) ينظر : الأجوبة المسكتة ٥٩ " بتصرف " .

٣-من أمثال اليونانيين. **٤-من جوابات الزهاد.**

٥-من جوابات المتكلمين. **٦-من أجوبة الأعراب.**

٧-من أجوبة النساء. **٨-من جوابات المدنيين والمخنثين.**

٩-من الجوابات الهزلية. (١)

واختار أقصر الأجوبة، أو ما يمكن أن يكون قد اختصره هو تأكيداً لموقفه من الإيجاز ، وتفصيله إياه على الإسهاب.(٢)

ج- قيمة الكتاب:

كتاب (الأجوبة المسكتة) نافذة للاطلاع على نوادر القرنين الأول والثاني الهجريين مما كان يروى مشافهة ، أو مما كان في كتب فُقِدَت ولم يعثر عليها(٣).

وله قيمة اجتماعية عالية من حيث أنه تطرق إلى موضوعات كانت محط اهتمام بعض الناس في فترة من الفترات، من ذلك بعض العادات التي تثير الضحك بين الناس هذا إلى جانب الإشارات الخاصة الأسلوبية ، وهي عنصر المفاجأة في النكتة ، والبساطة في اللغة ، والسذاجة في الموضوع، وهذه الخواص للأجوبة الهزلية(٤)، وكان هدف ابن أبي عون أيضاً التسلية مع الهدف التعليمي فيها، ويظهر ذلك من خلال نوع المادة المختارة ،

---

١) ينظر:الأجوبة المسكتة ٦٠ .

٢) ينظر:الأجوبة المسكتة ص ٦١ .

٣) ينظر:الأجوبة المسكتة ٨٠ .

٤) ينظر: الأجوبة المسكتة ٨٠ .

وبخاصة في أبوابه الأولى ، وكذلك ترتيب وتنسيق هذه المادة، فقد بدأ المصنف كتابه بباب (الجوابات الجدية) الحافل بالأخبار والحكم والدروس([1]).

وشهد الكاتب بنفسه بقيمة هذا الكتاب ، فقال في مقدمته: " لعمرى لقد استحسنت ما يفضل به أهل البلاغة ، ويسبق إليه البديهة به أهل الذكاء والفطنة، وقرب المأخذ في الاحتجاج على الخصم؛ وايقاع الجواب على المبتدئ بالسؤال، وإفحام المشاغب عن معارضته بالحجاج، وخاصة إذا طبق الجواب المعنى، وأغنى عن الإعادة، وكان الابتداء والجواب كالمثاقفة بالآلة والحمل في المعركة([2]) .

د- عنوان الكتاب وتاريخ تأليفه:

أُختُلِف في عنوان كتاب الأجوبة المسكتة، أهذا عنوانه أم له عنوان آخر؟

ولا خلاف بين العلماء في صحة نسبة هذا الكتاب إلى (ابن أبي عون) ، ولكن وُجِدَ للكتاب عنوان آخر وهو :" لب اللباب في جوابات ذوي الألباب"([3]) لكن محققة الكتاب قالت: "وجدنا التسمية الأولى هي الأكثر شهرة ، ودل على ذلك كتب التراجم"([4])

---

[1]) الأجوبة المسكتة ص ٥٩ .

[2]) الأجوبة المسكتة ص ٢٤ ، ٢٥ .

[3]) الأجوبة المسكتة ٥٧ .

[4]) الأجوبة المسكتة ٥٧ ، والأعلام ٦٠/١، والفهرست ١٨١/١ ، ووفيات الأعيان ٣٣٧/٦ .

أما عن تاريخ تأليفه: فقد صنف ابن أبي عون كتاب الأجوبة المسكتة سنة ٣٩٦هـ – ٩٠٤ م أو سنة ٣٠٥هـ – ٩١٣ م . ([١])

٢- مفهوم الجواب المسكت وأهميته:

قبل أن اتطرق إلى تعريف الجواب المسكت لغة واصطلاحاً ، فيمكن أن نعرف أن هذا الجواب قد أطلق على عدة أسماء كـ (الجواب الحاضر)([٢]) أو (رشقات اللسان)([٣]) أو الجواب الملهم، أو الجواب الناصر، أو المحاورة المستحسنة([٤]) وكلها تدل على الإصابة ، والتعجيز ، والإفحام .

أما الجواب لغة : فـ "الجيم والواو والباء أصل واحد ، وهو حرف الشيء، وأصل آخر هو: مراجعة الكلام "([٥]).

واصطلاحاً: هو "ما يقطع الجواب فيصل من فم القائل إلى سمع المستمع، لكن خص بما يعود من الكلام دون المبتدأ من الخطاب"([٦]).

---

[١]) الأجوبة المسكتة ٥٧، ٥٨ .

[٢]) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٨٩/٤، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، والإمتاع والمؤانسة ٣٨٠ تح د/ محمد حسن إسماعيل ، المكتبة المصرية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .

[٣]) المستطرف في كل فن مستطرف لشهاب الدين الأبشيهي ص ٧ ، عالم الكتب – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ .

[٤]) الحضور البلاغي في الأجوبة المسكتة (الايجاز – الكناية – حسن التعليل – الاقتباس) لمنيرة محمد فاعور صـ ١٢ بحث منشور بمجلة التراث العربي – سوريا مجلد ٣٢ عدد ١٣ ، ١٣٠٤هـ – ٢٠١٤م .

[٥]) مقاييس اللغة لابن فارس تح / عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢ ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م مادة (جوب) .

[٦])التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي١٢٣، عالم الكتب –القاهرة، ط١ ،١٤١٠هـ–١٩٩١م .

إذاً ، فالجواب لغةً واصطلاحاً متعانقان؛ لأن المجيب بإجابته عن السؤال كأنه رجع الكلام.

والمسكت في اللغة :"السين والكاف والتاء أصل يدل على خلاف الكلام ، تقول: سكت يسكت سكوتاً ورجل سكيت"([1]) ، وكذلك السكوت تعنى : قطع للسائل وإفحامه عن الرد.

أما تعريف الجواب المسكت اصطلاحاً فهو: " الأجوبة الحاذقة الذكية يرد بها المسئول على من سأله ليفحمه بالجواب المسكت "([2]) ومعنى ذلك أن الجواب المسكت يضاهي البلاغة في الإمتاع والإقناع، وأنه يعتمد على البديهة والارتجال ، والسرعة ؛ لأن البلاغة هي " أن تجيب فلا تبطئ ، وتقول فلا تخطئ"([3]) فهما وجهان لعملة واحدة.

ومكونات وعناصر الجواب المسكت ثلاثة هي : سائل ، ومجيب ، وجواب ، فالسؤال هو الباعث على ربط الاتصال بين السائل والمجيب ، ويحمله على المشاركة في المحاورة ، وكلما كان السؤال قوياً كان الجواب قوياً ، والسائل يجد منيته ورغبته في الجواب.

ومن هنا كان لـ (الجواب المسكت) أهمية وأغراض لا حصر لها ، وقد أجاد صاحب العقد الفريد بيان خصائص الجواب المسكت، فقال:" تراه يجاوب

---

[1]) مقاييس اللغة مادة (سكت)، ولسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت ، ط ٣، ١٤١٤هـ مادة (سكت).

[2]) الأجوبة المسكتة ٣٧ ، والعقد الفريد ٨٩/٤ .

[3]) الحيوان للجاحظ تح/ عبد السلام هارون ٩/١ ، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

من غير أناة ولا استعداد ، يطبق المفاصل ، وينفذ إلى المقاتل ، كما يرمي الجندل بالجندل، ويقرع الحديد بالحديد ، فيحل به عراه ، وينقص به مرائره، ويكون جوابه على كلامه كسحابة لبدت عجاجة، فلا شيء أعضل من الجواب الحاضر، ولا أعز من الخصم الألد الذي يقرع صاحبه، ويصرع منازعه بقول كمثل النار في الحطب الجزل"([١]).

وقد أشاد ببلاغة الجواب المسكت كثير من العلماء([٢])؛ لذلك فإن فوائد الجواب المسكت الجمة جعلت العلماء يضعونه في المرتبة الثانية بعد الإيمان بالله، فقيل : " ما من شيء يؤتاه العبد بعد الإيمان بالله أحبَ إليّ من جواب حاضر ، فإن الجواب إذا تعقب لم يكن له وقع".([٣])

*سمات وشروط الجواب المسكت:

هناك سمات وعلامات يتميز بها صاحب الجواب المسكت، فهي لا تحتاج الى تعلم العلوم واكتسابها ،وإنما تقوم على الذكاء والبديهة وسرعة الإجابة.

يقول صاحب صفة الذوق السليم مشيراً إلى ذلك : "صاحب الذكاء المفرط جوابه مسكت، يشارك العلماء من غير اشتغال ، ولا يتكلم بمحال على كل حال ، تخيله صحيح وتكلمه مليح فصيح ، لا يحتاج الى المنطق ولا الى

---

[١]) العقد الفريد ٨٩/٤ .

[٢]) ينظر : صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم للسيوطي ٢٨ ، دار ابن حزم ، ط٢ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٢م ، واللطائف والطرائف للثعالبي ١٠٢ ، دار المناهل – بيروت (د–ت)، والعقد الفريد ٨٩/٤ .

[٣]) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ٣٨٠ .

الألفة، وتلك المعالم من نفس سجية .. ولا يحتاج إلى العروض في تلك الأبيات " (١).

ومن سمات الجواب المسكت أيضاً المفاجأة ، والوجازة ، وقوة الحجة ، والسرعة ، ومراعاة أحوال المخاطبين، فلكل مقام مقال ، وأن يكون الجواب غير معتاد ، ومراعاة الظروف الثقافية والاجتماعية والدينية للمخاطب ، والحس المرهف مع امتلاكه لثروة لغوية مع إجادته للتمويه والحيلة.

كل هذه السمات والشروط إذا توافرت في الجواب المسكت وصاحبه، فإنه يصيب الهدف ويحصل على منيته ، كتأثير السيف في الحروب بل هو أقوى، وكما قيل :" قد يبلغ الكلام حيث تقصد السهام "(٢) وكما قال الشاعر: حسان بن ثابت:(٣)

لسانى وسيفى صارمان كلاهما ويبلغ ما لا يبلغ السيف مزودي

---

١) صفة صاحب الذوق السليم ٢٨ .

٢) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ١٠٧ ، مكتبة القرآن – القاهرة (د–ت) .

٣) ديوان حسان بن ثابت ٨١ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، والمذود : اللسان ؛ لأنه يذاد به عن العرض، ينظر: لسان العرب مادة (ذود).

ثالثاً: أجوبة النساء عند ابن أبي عون ومنهجه فيها:

تأثر (ابن أبي عون) في جمع أجوبة النساء بسابقيه(١)، فجمع في هذا الباب مجموعة من أجوبة النساء في معرض الهزل ، وفي معرض الجد(٢).

وكان ممن سبقه في جمع أجوبة النساء أبو الفضل أحمد بن طيفور(٣)(ت٢٨٠هـ) صاحب كتاب: (بلاغات النساء)(٤) الذى أورد فيه عدداً كبيراً من أخبار مشاهير النساء، وبلاغتهن ونوادرهن.

وكذلك ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في كتابه (عيون الأخبار)(٥) حيث جعل في الجزء الرابع منه قسماً بعنوان (كتاب النساء) ومما لا شك فيه أن الكتابين المذكورين كانا من مصادر ابن أبي عون لبعض مادته في هذا الباب (٦) وغيرها من المصادر الأخرى .

---

١) ينظر : عيون الأخبار لابن قتيبة (٢٧٦هـ) ١،٦، ٥٢ وما بعدها دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤١٨هـ ، الحيوان للجاحظ ٩/١ .

٢) الأجوبة المسكتة ٧٥ .

٣) هو أحمد بن طيفور (أبو طاهر) الخراساني ، أبو الفضل : مؤرخ من الكتاب البلغاء الرواة ... مولده ووفاته ببغداد ، كان مؤدب أطفال ، له نحو خمسين كتابا ، منها (تاريخ بغداد) ، و (المنثور والمنظوم) ، و (بلاغات النساء) ... إلخ . ينظر : الأعلام ١٤١/١ .

٤) بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، صححه وشرحه د/ أحمد الألفي ، الناشر مطبعة مدرسة والدة عباس الأول – القاهرة ١٣٢٦هـ – ١٩٠٨م .

٥) ينظر : عيون الأخبار ٦/١ .

٦) ينظر : الأجوبة المسكتة ٧٥، ٧٦.

ولكن ما يميز هذا الباب من كتاب الأجوبة المسكتة أن صاحبه أفرده بأكمله لأجوبة النساء التي تنم عن ذكاء كبير حتى في معرض الهزل([1]) .

وهذه الأجوبة تشتمل على عذوبة الألفاظ، وتماسك التراكيب، ومعرفتها بأحوال النساء وطبائعهن، ومعرفتها بأحوال المخاطبين ، ومدى ملاءمة كل جواب بحال صاحبه.

وتميزت أجوبة النساء في الكتاب أيضاً بقطعها لجدال المخاطب بالجواب المسكت، وتنبيهه إلى وجوب مراجعة السلوكيات الخاطئة، وضرورة ترسيخ الأخلاق الفاضلة ، والدعوة إلى التمسك بالعقيدة الصحيحة ، وتحقيقها للإقناع لدى المتلقي .

وهذا ما سيتضح لدينا من خلال الدراسة والتحليل.

---

[1]) الأجوبة المسكتة ٧٦ .

المبحث الأول

بلاغة أجوبة النساء في كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون(أجوبة قوة الحجة)

يأتي الجواب المشتمل على قوة الحجة حينما يكون المتكلم لديه حجة ودليل، ويدعي الغلبة لنفسه ، فيأتي بجواب يتميز بقوة الحجة، ويتضمن الأدلة العقلية والمنطقية لإقناعه، فيحدث من المتلقي الخضوع والإذعان له.

وقد نوعت المرأة في أجوبتها ما بين قوة الحجة في الاستدلال بالأدلة النقلية أو العقلية أو الأدبية سواء أكانت (شعراً أم نثراً) ، وما بين الإقناع عن طريق القصة القصيرة ، أو الحوار ؛ لتحقيق التأثير على مشاعر القارئ .

وصاحب الحجة يستطيع التأثير في الآخرين بإحداث التغيير فيهم " فيتخذ المخاطب موقفاً إيجابياً منهم إما فعلاً وإما تركاً "([1]).

وقد كان من أقوى وأبرز الحجج هو الحوار الذي يهدف بدوره إلى " الوصول للحق والرجوع عن الخطأ بتقديم الأسباب والعلل المدعمة للحجة أو دحضها([2]).

---

[1]) ينظر : دراسة آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء نموذجاً دراسة حجاجية هشام بلخير، ص ٣٦ " بتصرف " جامعة النجاح لخضر باتيه ، كلية الآداب واللغات، الجزائر ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

[2]) أدب الحوار وقواعد الاختلاف د.عمر عبدالله كامل، المؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب ص ١٤ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (د–ت).

ومعروف أن "الحجاج يعتمد على الإقناع والرد ، والحجاج أعم من الحوار ، ويشتركان في أن كليهما كلام متبادل يدور بين شخصين ، ويفترقان في كون الحجاج يدعم بالدليل والحجة والبرهان ، ويتسم بالخصومة ، أما الحوار فلا يقوم على خصومة أو خلاف أصلاً ، بل يغلب عليه الهدوء بهدف التواصل أو الوصول للحقيقة"([1]).

وحينما تقوى عناصر الشك أو الرفض لدى المخاطب ، فإن المتكلم يأتي بعوامل حجاجية في كلامه مثل : " الحصر أو النفي أو الظروف أو الروابط مثل : (الواو ، الفاء ،لكن ، إذن ، حتى) لأن الشرط أو الاستفهام أو القيود أو الاقتباس، أو الأساليب غير المباشرة كالكناية والتعريض أو الأسلوب الحكيم أو التورية أو الجناس، وغيرها من النكات البلاغية التي أتقنتها المرأة ووظفتها في حوارها، وحجتها لتفحم بها المخاطب، قد آتت ثمارها ببطلان ما زعمه الداحض أو المشكك للشيء ، وكل هذا سوف نلاحظه خلال تحليل تلك الأجوبة فيما يأتي من صفحات.

الجواب الأول:

ومما جاء من أجوبة النساء المؤسسة على أحكام نقدية ، للتدليل على قوة حجتها ما جاء في جواب السيدة سكينة بنت الحسين – رضي الله عنهما – رداً على قول جرير:([2])

---

[1]) بلاغة الحجاج النبوي في صحيح مسلم، رسالة دكتوراة للباحث : عبد المحسن محمود أحمد منصور، ص ٣١ ، كلية اللغة العربية بالمنوفية ، جامعة الأزهر – ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م .

[2]) ديوان جرير صـ٤٥٢ الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر (د–ت) .

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

فقالت: "قبحه الله، ألا قال: فادخلي بسلام"(١).

نقدت السيدة سكينة بنت الحسين – رضي الله عنهما – قول جرير السابق في قوله: " فارجعي بسلام " وبدأت رفضها لهذا القول واستياءها منه بجملة دعائية تحقيقية فقالت: (قبحه الله) لتعبر عن شدة سخطها وغضبها عليه حينما طرد خيالها، ولو كان محباً حقاً لما طردها.

ثم عبرت عن ثورتها تجاه قول جرير بالاستفهام بـ (ألا) الدالة على العرض والتحضيض؛ لتحثه على تغيير هذا القول، وجاء الفصل بين الجملتين لاختلافهما في الخبرية والإنشائية لكمال الانقطاع بلا إيهام للتأكيد على مدى قبح هذا القول وعدم استحسانه، وللترغيب في أن يرى رأيها، ويقول بقولها: (فادخلي بسلام) وكان للحوار دور كبير في الإقناع، وكان لكثافة الأساليب الإنشائية وتعاضدها دور في القبول والاقتناع.

فقد عابت على الشاعر عاطفته ، وكان اعتمادها في هذا على حسها النقدي المعتمد على فهم أحوال المرأة في حالة الغزل ، فكان نقدها من "قبيل النقد المؤسس على خبرة سيكولوجية المرأة، أو عالمها النفسي"(٢) .

كما أن نقدها انصرف إلى مضمون الشعر لا شكله؛ " فبيت جرير عبر عن تناقض في موقف الشاعر ، مما أظهره مدعياً لا عاشقاً حقيقياً... وأن لا

---

١) الأجوبة المسكتة ١٧٢ ، جواب ١٠٢١ .

٢) التفكير النقدي عند العرب د/ عيسى علي العاكوب ص ٩٨ ، دار الفكر دمشق – سوريا ، ط ٧ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

مسافة هنا بين الخيال والواقع ، ولا شك أن أخطاء الشعر هنا ترجع إلى عدم إصابته المعاني التي أوردها "(١).

وقد تابع السيدة سكينة – رضي الله عنها – في نقدها لجرير كثير من النقاد(٢) وجعلت النقاد يقولون بقولها، فالشعر لا يحكم عليه بالجودة إلا حينما يكون صادق العاطفة، يقول الدكتور عبدالعزيز عتيق عن ذلك: "دور العاطفة في الشعر والنقد ... ما عبر عن قوه وصدق عاطفة صاحبه ، وأثر ذلك في عواطف سامعيه، بمعنى أن يكون له موقع في القلب، وعلوق في النفس مع البلاغة في الوفاء بغرضه والتعبير عنه "(٣) .

وبالرغم من تأييد كثير من النقاد لرأي السيدة سكينة – رضي الله عنها – حينما تدارسوه وتناولوه في كتبهم النقدية مما ينبيء عن قوه جوابها وتأثيره فيهم حيث جعلوا رأيها الأساس النقدي في قياس جودة الشعر والشعراء .

ولكن يمكننا أن نرد على السيدة سكينة – رضي الله عنها – ومن تابعها بقول صاحب الموازنة : "وقد استخف الناس قوله: (فارجعي بسلام) ، وإنما قال هذا لأنه عاتب عليها، ألا ترى إلى قوله بعد هذا: (٤)

---

١) المرجع السابق ص ١٠١ .

٢) ينظر: سر الفصاحة ١/ ٢٦١ ، والموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ١٦٧/١ ، (د–ت) ، والتفكير النقدي عند العرب ص ٩٨ .

٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/ عبد العزيز عتيق ١٤٢ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط ٤ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ .

٤) ديوان جرير ٦١٣/١.

لو كان عهدك كالذي عاهدتنا لوصلت ذاك فكان غير رمام

أو لم يمنعه طرده الخيال أن قال بعد هذا:([1])

تُجري السواك على أغرَ كأنه برد تحدَّرَ من متونِ غمام([2])

وما أظن جريراً، ولا الأعشى قبله كرها الخيال على الحقيقة ، وإنما أرادا أن زيارته في غير وقتها شاغلة لنا عن حالنا التي نحن عليها.

ويمكن أن نقول أيضاً إنه كان محباً حقاً، ولكن أراد أن ينبئ عن عفته ، أو أراد الوصال ، ولكنه خاف من الفرقة.

وأخبار السيدة سكينة وأقوالها في الأدب والنقد مما يحتاج إلى مراجعة وتوثيق في أغلبه؛ لغلبة الحديث فيه عن العشق والغزل الصريح، مما يخدش مقام امرأة منسوبة إلى سيدات بيت النبوة.

الجواب الثاني :

ومما عابته المرأة في جوابها المسكت لقوة حجتها واعتمادها على الحس النقدي الأدبي أيضاً ، وذمها للتكرار الشكلي في الشعر حينما نقدت سكينة بنت الحسين كثير عزة في هذا الجواب: " أنشدت سكينة بنت الحسين :

---

[1]) أغر : الأبيض من كل شيء، ينظر: القاموس المحيط للفيروزابادي، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م (غرر).

[2]) الموازنة بين أبي تمام والبحتري للأمدي ١٨٧/٢ ، ١٨٨ تح السيد أحمد صقر، دار المعارف ، ط٤ ، (د–ت).

فما للنوى لا بارك الله في النوى وعهد النوى يوم الفراق ذميم(١)

فقالت: لو أُرسلت شاة على هذا البيت لأكلته من كثرة النوى فيه"(٢).

عابت السيدة سكينة – رضي الله عنها – على شعر (كثير) أن يكثر فيه التكرار الشكلي في اللفظ فقط ،حيث كرر كلمة النوى ثلاث مرات مما جعلها تسخر منه، وتؤكد على عدم فصاحة البيت بهذا التكرار ، فجاءت بـ(الشرط والجواب) والأداة (لو) التي تفيد امتناع الامتناع أي امتناع الجواب لامتناع الشرط ، ثم أكدت كلامها (باللام) في جواب الشرط (لأكلته) للتأكيد على نفورها وسخطها ، وعدم استحسانها لهذا البيت، ثم بنت الفعل (أُرسل) للمجهول وذلك للتعميم أو لعدم العلم أو للمبادرة للمطلوب دون اعتبار للمرسل ، ونكرت (شاة) للعموم والإبهام.

فكثفت من القيود، ومن الشرط والجواب، وذلك لتنقل للقارئ شعورها بالسخط وعدم استحسانها لهذا البيت ، فيخفف ذلك من وطأة ثقله ، وإزالة مله ، وزينت ذلك أيضاً بمراعاة النظير بين (الشاة – الأكل – النوى) لتحقيق التآلف والتعانق بين الألفاظ .

ولقوة هذا الجواب ظهر أثره لدى النقاد حيث ذهب ابن سنان إلى ذم التكرار فقال :" ما أعرف شيئاً يقدح في الفصاحة ، ويغطى من طلاوتها أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنبه ، وصيانة نسجه" (٣)

---

١) البيت لكثير عزة في: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري ٧١/٢ ، مؤسسة الأعلمي – بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ .

٢) الأجوبة المسكتة ١٧٢ والنوى : الفراق ، ينظر: اللسان مادة (نوى) والنوى: بذرة ينبت منها النخل، القاموس المحيط مادة (نوى).

٣) سر الفصاحة ١٠٦/١ .

وقوله أيضاً :" أقبح ما يكون من التكرار واشنعه، وإذا كان يقبح تكرار الحروف المتقاربة المخارج ، فتكرار الكلمة بعينها أقبح وأشنع". (١)

ولكن البحث يري أن الشاعر كرر كلمة النوى أكثر من مرة لأن نفسه تشبعت بفكرة الفراق؛ واستولت عليه لدرجة أن جعلته يفقد وعيه ، ويكرر ألفاظه ، لعله يخفف عنه آلامه من أثر الفراق، وذلك دليل على أنه أراد بهذا التكرار أن يقنعنا بفكرته وهي ذم الفراق ، وبيان مدى ثقله ووطأته عليه.

ويدل عليه استحسان السيدة سكينة – رضى الله عنها – في موطن آخر لهذا البيت قبل نقدها لما فيه من التكرار بقولها: (إنه لبيت حسن)(٢) وهو ما لم يرد في رواية ابن أبي عون، والناظر إلى الشعراء يجدهم يكثرون من ذم النوى، يقول الشاعر:

أما والذي لو شاء لم يخلق النوى لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي(٣)

فذلك يبين لنا مدى ثقل وطأة الفراق على الشعراء حتى يذموه في أشعارهم.

وقد أكد العلماء على أهمية اللفظة المكررة في تأكيد المعنى فقالوا:" يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التأويل أو الوعيد "(٤).

---

١) سر الفصاحة ٣٠٣/١ .

٢) ينظر: الموازنة للآمدي ٥٢ وربيع الأبرار ٧٠/٢ .

٣) البيت لأبي العتاهية، ينظر: التشبيهات لابن أبي عون ٢٧٩ عني بتصحيحه محمد عبدالمعيد خان، طبع في مطبعة جامعة كمبردج ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٦٦٦/٢ ، د/ أحمد ظافر كوجان ، لجنة التراث العربي ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .

٤) خزانة الأدب لابن حجة الحموي (١/ ٣٦١) تحقيق : عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.

ويقول شيخنا الدكتور أبو موسي في التأكيد على ذلك: " تأكد أن الشاعر لا يعيد كلمة أو جملة أو معنى إلا وهو يريد أن يؤكد ذلك في نفسك، وأن يجعله جذراً من جذور معاني شعره، ولو قلت أنه بالتكرار يُجذر هذه المعاني في قصيدته، أي يجعلها جذوراً لم أكن بذلك متجاوزاً" ([1]).

وعليه فمن التكرار ما يكون محموداً، ومنه ما يكون مذموماً، فإن كثر التكرار بلا فائدة جديدة سواء كانت لفظية أو معنوية قبحت الجملة وكان هذا التكرار مذموماً، أما إذا أفاد معاني جديدة وكانت له فوائد في العبارة فإنه يكون محموداً؛ لأنه تعبير عن تأكد المعنى ورسوخه في النفس وشدة تعلق القائل بما كرره، وقد يقبح التكرار ويحسن لأسباب أخرى كثيرة لا داعى لذكرها هنا.

الجواب الثالث:

ومن جواب المرأة المسكت، الذي انبنى على قوة حجتها عن طريق القياس التمثيلي ببعث الطمأنينة من الأم إلى قلب ابنها ما جاء في جواب السيدة أسماء بنت أبى بكر– رضى الله عنهما – في هذا الجواب: حيث "قال ابن

[1]) قراءة في الأدب القديم د/ محمد أبو موسى ٥٣، ٥٤ ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط٤ ، (د–ت).

الزبير لأسماء أمه: إني لا آمن إذا قتلت أن يمثل بي([١])، وأصلب([٢]) قالت: يا بني إن الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ([٣])"([٤])

يقول ابن الزبير لأمه: (إني لا آمن إذا قتلت أن يمثل بي) وهذه المقولة التي صدرت من ابن الزبير لأمه مقولة يغلب عليها الرهبة والفزع، والخوف من أن يقتل، ويمثل به ويصلب، مؤكداً ذلك بـ (إنّ) التوكيدية، وبالشرط بـ (إذا) الدالة على تحقق الوقوع، ومن المعلوم أن أدوات التوكيد تدل على اليقين بأنه سيقتل ويمثل به ويصلب ، فما كان من السيدة أسماء – رضي الله عنهما – إلا أن تنزع منه هذا الإحساس المملوء بالخوف والرهبة، بأن كثفت من التأكيد والتوثيق ، وتكثيف النكات البلاغية مع بعضها لتكسب ابنها الجلد والأمن والطمأنينة ، فقد كان في اعتقاده أن أمه سوف تضعف لوقع كلماته ، ولكنها فاجأته بإجابتها التي تنم عن حكمتها ، وبلاغتها وتماسكها من خلال وقع ألفاظها التي أكسبت ابنها القوة ، ومن خلال تهيئته بالتمثيل لإقناعه بالثبات، فبدأت كلامها بأسلوب النداء بقولها: (يا بني) والغرض منه التلطف والتحنن ، والتخفيف من وطأة ما يشعر به من الخوف والشفقة عليه، فجذبت انتباهه ونادته بأداة النداء (يا) لعلو شأنه

---

[١]) مثَّلت بالقتيل: إذا جدعت أنفه وأذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه، والاسم المثلة، ينظر: لسان العرب (مثل).

[٢]) الصلب: مأخوذ من الصلابة وهي التئام الأجزاء بعضها إلى بعض من غير خلل، ينظر الفروق اللغوية ١٢٤.

[٣]) السلخ: " السين واللام والخاء أصل واحد هو إخراج الشيء عن جلده ثم يحمل عليه والأصل : سلخت جلد الشاة، مقاييس اللغة مادة (سلخ) .

[٤]) الأجوبة المسكتة ١٧٩ ، ج ١٠٥٧.

عندها، وارتفاع منزلته لديها، ثم فصلت قولها: يا بني، عن الجملة التمثيلية في قولها: "إن الشاة ... إلخ" وذلك لاختلافهما فى الخبرية والإنشائية ، فبينهما كمال الانقطاع بلا إيهام ، فقد شبهت تمثيلهم بالابن بعد قتله بسلخ الشاة بعد الذبح بجامع عدم الشعور والإحساس في كل، والغرض من المثل هنا هو: التأكيد على عدم خوفها وفزعها عليه ، وبث الطمأنينة في قلب ابنها، ويبدو تعانق العبارات وترابطها حيث وثقت كلامها بأكثر من أسلوب، وأكدته في قولها: " إن الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ" وذلك لأنه يؤكد كلامها ويحتج له بحجة مقبولة.

ثم أكدت كلامها أيضاً بأسلوب الشرط (إذا) في قولها: (إذا ذبحت لم تألم) وعبرت في الجواب بلم النافية لتفيد نفى الألم مطلقا، وتحقيقه لأن لم ولما للنفي ويختصان بالمضارع وتقلبان معناه الى الماضي ولا يكون النفي بلما إلا متصلاً بالحال([1])

ثم جاء الإيجاز في كلامها للتأكيد على بلاغتها وحكمتها ، وحسن استدلالها وللمسارعة إلى التخفيف عنه من وطأة الخوف والفزع اللذين يتملكانه .

وجاءت بالفعل ذُبح مبنياً للمجهول للمبالغة والاختصار وعدم العلم بالفاعل، ثم انظر إلى بلاغتها في دقة اختيارها للألفاظ حيث عبرت بـ (السلخ) دون (الانفصال) لأن " الانسلاخ أبلغ من الانفصال لما فيه من

---

[1]) شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك لابن عقيل المصري تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد ٢٦/٤ ، دار التراث القاهرة ، ودار مصر للطباعة – سعيد جودة السحار وشركاه ، ط٢٠ ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

زيادة البيان"([١]) ولأن الانسلاخ يدل على النزع شيئاً فشيئاً، بينما الانفصال يكون في جملة واحدة([٢]) بدليل فصل في اللغة تعني فصلت الشئ فانفصل أي قطعته فانقطع([٣]).

ثم أكدت كلامها أيضاً بالصور البيانية ، فأتت بالتشبيه التمثيلي في قولها: "إن الشاة إذا ذُبحت لم تألم السلخ" بأن شبهت هيئة ابنها إذا صلب بعد قتله بهيئة الشاة إذا سلخت بجامع الهيئة الحاصلة من انكشاف شيء وظهوره .

ثم أكدت أيضاً كلامها بالكناية التى جاءت فى ثنايا جواب الشرط للتوثيق والتأكيد وإقناعه بقولها.

ويشيد د/ محمود شيخون بالكناية حينما تأتى فى ثنايا جواب الشرط، فيقول: "وذلك من ألطف الكنايات وأحسنها([٤]).

ثم زينت كلامها بمراعاة النظير في (الشاة – ذُبحت – السلخ) ؛ لتوحى بمزيد من التآخي والترابط بين الجمل ، وتعانقها مما أكسبت ابنها التماسك والجلد ، كما أدى الحوار أيضاً دوراً كبيراً في إقناعه، ونجح في التهوين من شأن التمثيل به وصلبه بعد قتله، وشدة تخوفه من هذا الصلب.

---

[١]) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ١٢١/١ ، دار الكتب العلمية ، ط ١٤٠٢/١هـ – ١٩٨٢م .

[٢]) الفروق اللغوية ١٤٩/١.

[٣]) لسان العرب، مادة (فصل) .

[٤]) الأسلوب الكنائي د/ محمود شيخون ٨٢، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

وهذا ما أكده علم النفس من شدة خوف الإنسان عند وجود خطر يهدده، حيث ذهبوا إلى أن الخوف هو انفعال وأنه على صلة بالعقل والجسد، فأنت لا تخاف إلا إذا أدركت وجود خطر يهدد بقاءك، والذي لا يدرك وجود خطر يهدد بقاءه إما عن جهل أو غفلة أو عدم انتباه فلا يخاف"([1])

الجواب الرابع:

ومما ورد من الجواب المشتمل على قوة الحجة، معتمداً على القصة القصيرة، والحوار، وتعانق الجمل وترابطها، ما أتى في جواب هذه المرأة البارة بأبيها، فقد روي أنه: "برَت امرأة من العرب أباها في كبره، حتى كانت تحمله على ظهرها، فمرت بعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: من هذا؟ قالت: أبي، قال: لو مهدت له الطريق كان أوطأ([2]) عليه، قالت: هو كالصبي([3]) إذا جاع بكى، وأنا أكره أن أدعه في المنزل فيجوع ، ولا أعلم به ، وإني لأصغر ولده ، وإن له لمائة سنة، وإني لبكرٍ يدر([4]) الله ثديي لبناً، فإذا جاع أرضعته من قريب، فقال عمر: أترون هذه بلغت بر أبويها؟

---

[1]) ألفاظ النفس وصفاتها في القرآن الكريم د/ زيد حسين ٢٨٨ ، جامعة النجاح ، ٢٠٠٩م .

[2]) أوطأ: معناه أن يطأ الإنسان على أثر، والمراد السهولة في السير، تاج العروس مادة (وطأ) .

[3]) الصبي هو : أول ما يولد الانسان، صبي ثم طفل، المخصص لابن سيدة، تح د/ خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، مادة (صبي).

[4]) در: الدال والراء في المضاعف يدل على أصلين: أحدهما تولد شيء عن شيء ... فأول الدر در اللبن، ينظر: مقاييس اللغة مادة (درر) .

فقالوا: نعم، فقال عمر: نعم، فقالت: يا أمير المؤمنين ما بلغت بره، قال: كيف؟ قالت: لأني كنت في مثل حاله صغيرة يتمنى بقائي ، وأنا أتمنى موته، فقال عمر: أنت أفقه من عمر"(١).

بدأت المرأة جوابها بجملة تمهيدية مشوقة لقصة حقيقية تبين حال هذه المرأة من تحقق برها لأبيها ، والتى استدعت تعجب سيدنا عمر – رضى الله عنه – واستغرابه وتساؤله فى قوله: " من هذا؟" فأجابت المرأة (أبي) والتقدير (هذا أبي) فحذفت المبتدأ (المسند إليه) والسر الحقيقى لحذف المسند إليه هو العلم به من قرينة سؤال سيدنا عمر بن الخطاب: "من هذا؟" فالطبيعي أن تحذف اختصاراً؛ لدلالة الحال على المحذوف، فأسرعت لتوصل معناه إلى المتلقي، وكثيراً ما يجيء ترك الذكر أبلغ من الذكر؛ لذلك شبه الإمام عبد القاهر الحذف بالسحر فقال: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"(٢)

ثم استمر الحوار والسرد بينهما محركاً للأحداث، فقال: "لو مهدت له كان أوطأ عليه"، فدخلت "لو" في الجملة لربطها بالجملة الأخرى، والتعانق معها؛ لأن سيدنا عمر – رضي الله عنه – أخذته الشفقة والرأفة بتلك البنت، فوضع لها حلاً لتلك القضية، وإقناعها من خلال جمل قصيرة ،

---

١) الأجوبة المسكتة ١٧٩ ، ج ١٠٥٩ .

٢) كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ص ١٤٦ ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة – ودار المدني بجدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

خبرية وتقريرية ، ومؤكدة لتؤكد على صلاحها واستقامتها وبرها بأبيها ، فبدأت جوابها بجملة خبرية تقريرية ، وتشويقية وتمهيدية مصورة بالتشبيه المرسل فى قولها: (هو كالصبي) فانظر إلى الجملة التشبيهية وطرافتها وبعد مرماها([1]) في إفادتها لضعفه .

وعبرت بـ(هو) ضمير الغيبة لتعظيمه واختارت الكاف للتقريب بين أبيها والصبي في تحقق الضعف والعجز ، لتستميل بذلك عطف سيدنا عمر – رضي الله عنه – وشفقته عليها ثم عرفت الطرفين في قولها: (هو كالصبي) للتأكيد والمبالغة على ضعفه وعجزه.

ثم بدأت فى إيضاح تلك الجمل التشبيهية وتفصيلها ، ولا شك أن الإيضاح بعد الإبهام لا يأتي "إلا لضرب من المبالغة فإذا جئ به فى كلام ، فإنما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم وإعظامه"([2]) فأتت بجملة شرطية توضح الجملة السابقة (هو كالصبي) فقالت: (إذا جاع بكى) ، وجاءت بإذا لتحقق الوقوع، وتحقق ضعفه ووهنه وتوثيق ذلك وتأكيده، وهذا ما أكده الفصل أيضاً بين هذه الجملة وما سبقها ، لأنها وقعت جواباً لسؤال اقتضته الجملة الأولى (لماذا كان كالصبي) فبينهما شبه كمال الاتصال، أو ربما جملة: (إذا جاع بكى) جملة توضيحية وبيان للأولى ، فبينهما كمال الاتصال.

---

[1]) علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع دراسة بلاغية د/ مختار عطية ٥٣ ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر (د–ت) " بتصرف " .

[2]) الصبغ البديعي في اللغة العربية د/ أحمد موسى ٢٦٨ ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

ويلاحظ هنا مراعاة النظير في (الصبي – جاع – بكى) ثم عادت للعطف بين الجمل مرة أخرى ، لتربط الجمل بعضها ببعض، وتستمر في سرد القصة مستعينة بالحوار ، فقالت: "وأنا أكره أن أدعه في المنزل فيجوع ، ولا أعلم به وإني لأصغر ولده، وإن له لمائة سنة" فهذه الجمل الطويلة فى كلامها حتى يتسنى الإيضاح والتفصيل(١) واعتمدت في تفصيل للمشبه به بالجمل الخبرية الشرطية، والتكرار(٢) والعطف في قولها السابق: "أن أدعه في المنزل فيجوع" وقولها: " وإني لأصغر .... وإن" لتبين مدى إلحاحها على بيان حقيقة المتبوع.

وقد أكدت المرأة شدة ضعف أبيها بمؤكد مهم ظهر في قولها: " وإن له لمائة سنة " وهذا يدل علي قمة ضعفه لبلوغه سن العجز والوهن الشديدين، فهو أحوج ما يكون للرعاية وشدة العناية.

وظهر تأكيدها في الإتيان بـ (إن) التأكيدية واللام في (لمائة) والجملة الإسمية حيث تكاتفت كل هذه المؤكدات لتبرز مدى ضعفه وشدة عوزه، فاستمالت المخاطب بذلك وكسبت تعاطفه معها ، وترى في هذه الجمل تعانق الكلمات وتوكيدها، وتآخيها لأنه " كلما زاد الشك، وقويت عوامل رفض قبول الخبر كان من بلاغة الكلام الخبرى زيادة المؤكدات فيه بمقدار حال المخاطب"(٣) وهذه الجمل تحمل كنايات تشي بمدى ضعف أبيها لأنها

---

١) ينظر: أدب الوصايا في نهج البلاغة قراءة في خصائص الأسلوب، مزاحم مطر حسين ١٩٦ .

٢) أدب الوصايا في نهج البلاغة ١٩٧.

٣) البلاغة العربية لعبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني ١٧٩ ، دار القلم دمشق ، والدار الشامية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

فطنت ولاحظت تعجب سيدنا عمر رضى الله عنه واستغرابه فلجأت إلى التوكيد ، والجمل الخبرية، والتكرار لإزالة الشك، وتوكيد المعنى وتثبيته ، والتأكيد على مدى صلاحها واستقامتها، وبرها لوالدها وتكرارها للعطف لتؤكد على برها أيضاً ، ومدى ضعفه ثم استمرت فى استمالته ، وإقناعه بتفصيل الجمل فقالت: "وإني لبكر يدر الله ثديي لبناً ،فإذا أرضعته من قريب" وقولها: " أرضعته من قريب " فيه ملمحان بلاغيان أولهما : الاستعارة المكنية فمعنى (أرضعته) أطعمته فشبهت الإطعام بالإرضاع بجامع الشبع في كل .

ورشح الاستعارة قولها: (هو كالصبي) إذ يحتاج الصبي للرعاية والتعهد ، وأكد ذلك قولها: (من قريب) أي لبيت حاجته للطعام فحلبت له ثديي وأطعمته منه في سرعة، وهو الملمح الثاني إذ إن الصبي والكبير يحتاجان إلى مزيد اهتمام ورعاية خاصة تقتضي ملازمة وقرباً لا يستلزمه الكثير من الناس فقولها: (من قريب) فيه مبالغة في الاهتمام والعناية .

وكثفت من التأكيد بـ(إن والجملة الشرطية) في القول السابق للتأكيد على كيفية برها ، ولتوثيق كلامها حتى تزيل الشك في عدم برها به ، فاستدعى ذلك أيضاً تعجب سيدنا عمر – رضى الله عنه – من كلامها ، وتفاعله معها ،وجذب انتباهها ، لأن بداخله مشاعر ثائرة تدل على مدى حيرته واندهاشه فقال: مستفهماً : "أترون هذه بلغت بر أبويها " فأجابوه بنعم ، ثم قال هو: نعم أيضاً، ولكن المرأة استمرت في إقناعه عن طريق الحوار، والنداء المشعر بجذب الانتباه، والإصغاء لكلامها وتعظيم المخاطب في قولها: " يا أمير المؤمنين"، وكثفت من إقناعه بالجملة المنفية في قولها: (ما بلغت بره).

فأكدت كلامها بهذا النفي أنها لم تصل إلى بر أبيها ، والمد بـ (الألف) في (ما) أفاد امتداد إنكارها لكلامه ، فأثارت استفهامه مرة أخرى، فقال :"كيف؟"، فأجابته بإجابة غير متوقعة ومسكتة بتكثيف الصور البيانية المتداخلة بالتشبيه التمثيلي ، الذي جاء عقب المعاني مما جعلته يعترف ببلاغتها ، ويقر بفضلها، بقولها: " لأنى كنت فى مثل حاله صغيرة يتمنى بقائى وأنا أتمنى موته" ، فلجأت إلى المقارنة والتشبيه التمثيلى بأن شبهت هيئة حالها وهى صغيرة وتمنيه لبقائها بهيأتها الآن ، وهو كبير وضعيف وهي تريد موته ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من الضعف والاحتياج مع نقص البر مهما كدت وتعبت ، وقولها :"و أنا أتمنى موته" للتأكيد على عدم مضاهاة برها ببره، ونفى المساواة بين البرين .

وأكد الطباق الخفي بين قولها: (صغيرة – بقائي) وقولها :(أنا أتمنى موته) لأن موته مسبب عن كبره، ولا شك أن الطباق ساعد على " تداعى المعاني، فالضد يجلب إلى الذهن ضده..... لأنهما متضايفان ، ويستند أحدهما على الآخر"([١]) .

فلاحظ كيف برعت في وضع الحبكة ، والختام لقصتها ، فقوي جوابها من خلال بلاغتها، وقوة عباراتها ، وكثافة المؤكدات والقيود في جملة الختام من (الشرط والجواب ، واللام في لأني ، وكان ، وتكرار الضمائر الغائبة في حالة موته ، والجملة الاسمية) لتؤكد على عدم مضاهاة برها هذا ببر أبيها.

[١]) البلاغة الاصطلاحية د/ عبد العزيز قلقيلة ٢٩٥ .

ثم سخرت الحوار الذى أثار الحيوية بين الشخصيات بعضها البعض وكان له الأثر المرجو في اكتساب تعاطف المخاطب ، واستمالته مما جعل سيدنا – عمر رضي الله – عنه يعترف ببلاغتها وتفوقها وثقافتها الدينية ؛ لأنها تطبق الآيات القرآنية([1]) والأحاديث النبوية([2]) التي تحث على بر الوالدين، وبفضل حسن اختيارها للأساليب البلاغية المصورة التي تدل على عواطفها الجياشة تجاه أبيها ، كل هذا جعل سيدنا عمر – رضي الله عنه – يصرح بأفضليتها بقوله: "انت أفقه من عمر" حتى صارت مثلاً متداولاً بين الناس.

الجواب الخامس:

ومما جاء من قوة حجة المرأة في جوابها المسكت المتضمن معرفتها بأحوال العشاق ما جاء في هذا الجواب: "قال محمد بن منصور: قالت لي جارية: ظهر يا مولاي في رأسك الشيب؛ فقلت: هو ما لا تحبونه ، فقالت:

---

[1]) يقول تعالي: " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا " سورة النساء آية ٣٦.

[2]) عن عبد الله قال: سألت النبي – صلى الله عليه وسلم – " أي العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها ، قال: ثم أي؟ قال: " ثم بر الوالدين " قال: ثم أي؟ قال: " الجهاد في سبيل الله " قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني ".صحيح البخاري تح د/ محمد زهير بن ناصر الناصر ١١٢/١ ، رقم الحديث ٥٢٧ ، باب فضل الصلاة لوقتها، طبع دار طوق النجاة ط ١ ، ١٤٢٢هـ .

إنما يثقل علينا الشيب على البديهة(١)، فأما شيب نشأ معنا نحن ننظر إلى صاحبه بالعين(٢) الأولى "(٣) .

لما أرادت الجارية أن تُظهر لمولاها حقيقة ظهور الشيب في رأسه عن طريق الحوار سعياً منها لتحقيق المشاركة والتفاعل منه معها ليجيب عن حوارها فقالت له: (ظهر يا مولاي في رأسك الشيب) ، فرد عليها مقبحاً لهذا الشيب ، وأنه سبب في ابتعادها عنه بقوله: (هو ما لا تحبونه)، ولكنها فأجاته برضاها عن هذا الشيب فقالت: (إنما يثقل علينا الشيب على البديهة)، فبدأت كلامها بالقصر بـ (إنما) لإفادتها للتعريض بكون هذا الشيب غير ثقيل وأنها تحبه وترضاه منه ، ولذلك أشاد الإمام عبد القاهر بإنما فقال :" ثم اعلم أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون ، وأعلق ما ترى بالقلب ، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه"(٤) .

وبعد هذا الإجمال بدأت في التفصيل فقالت: (فأما شيب نشأ معنا نحن ننظر إلى صاحبه بالعين الأولى) فعقبت بالفاء ، وأتت بـ(أما) الشرطية

---

١) البديهة هي من بده : البديهة أول كل شيء ، وما يفجأ منه ، القاموس المحيط مادة (بده).

٢) العين هي آلة البصر ، وهي الحدقة، ينظر: تاج العروس.مادة (عين) والفروق اللغوية ٨٣/١.

٣) الأجوبة المسكتة ١٧٣ ، ج ١٠٢٢.

٤) دلائل الإعجاز ٢٥٤.

لتؤكد على رضاها عن هذا الشيب ، وعدم استثقاله ، لأن (أما) "حرف شرط وتفصيل وتوكيد ، وتفيد الخبر قوة "([1]).

ثم نكرت (شيب) للنوعية أى شيب معروف لدينا، وانظر إلى دقتها اللغوية فى اختيارها لـ(ننظر) دون (نبصر) ؛ لأن نظر تعنى " النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته"([2]) بينما بصر تعني العلم والبصيرة، يقول ابن فارس: " الباء والصاد والراء أصلان : أحدهما: العلم بالشيء ؛ يقال هو بصير به ، والبصيرة البرهان وأصل ذلك كله وضوح الشيء "([3]) .

فمن هنا عبر بـ(ننظر) ؛ لأن هذا الشيب هو ما تأملته وعاينته بخلاف (نبصر) فتدل على مجرد العلم به واستشكاله، وكررت الجار والمجرور فى قولها :(إلى صاحبه – بالعين)، وأتت بالصفة فى قولها: (الأولى) للتأكيد وإيضاح فكرتها فى كون هذا الشيب تنظر إليه بقلبها ، وليس العين فقط.

ثم عقبت بصور بيانية كثيفة ومتعاقبة ، فبدأت بالاستعارة فى قولها: (ننظر) فشبهت التأمل والمعاينة بالنظر بجامع المعاينة والتعود فى كل ، والاستعارة أوحت بشدة تعلقها وحبها له، ثم جاءت بالمجاز المرسل فى (العين) لعلاقة المحلية ، لأن النظر محل العين للمبالغة فى مدى حبها لهذا الشيب، وصاحبه ورضاها عنه، وهذا ما أكدته أيضاً الكناية، ومراعاة النظير ما بين (الشيب ، والنظر ، والعين)، وتكرارها للفظ الشيب مرتين كل

---

[1]) الطراز للعلوي ١٣/١ ، المكتبة العصرية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ.

[2]) مقاييس اللغة مادة (نظر).

[3]) مقاييس اللغة مادة (بصر).

هذا يدل على مدى إلحاحها لحبيبها برضاها عن هذا الشيب، وعدم تحولها ثم أتى الحوار والإيجاز ليدعم كل هذه النكات البلاغية في إقناع عاشقها باستمرار حبها له، وعدم تزعزعه بسبب الشيب، فأزالت اعتقاده في شعور جاريته باستثقال الشيب، وارتياحه وإقناعه .

وجاء قولها: (بالعين الأولى) لتفيد أن نظرها لشيبه إنما يقع موقعاً حسناً، وبديهياً، فالنظرة الأولى ليس بها شوائب أو منغصات، بل هي نظرة فطرية يحوطها الود والمحبة .

الجواب السادس:

يأتي الجواب المسكت من المرأة أحياناً دالاً على ثقافتها الدينية والاجتماعية للتعبير عن العفة والنزاهة، وقوة التدين، فتأتي قوة الحجة مؤيدة بالدليل المادي المحسوس، فقد ورد أنه: " دخل معاوية على فاختة، ومعه خصي له([١]) فاستترت، فقال لها معاوية: إن هذه بمنزلة المرأة، فقالت فاختة: إن الذي قطع منه لم يحل له ما حرم الله عليه "([٢]).

فعلت تلك المرأة المسماة فاختة فعلاً ينم عن عفتها وتدينها ؛ لأنه لما قال معاوية – رضي الله عنه – ساخراً ، ومستهزئاً من هذا الخصي الذي شبهه بالمرأة: (إن هذه بمنزلة المرأة) أي: مثله مثل المرأة، فهو كناية عن عدم رجولته، كما عبر باسم الإشارة (هذه) للسخرية والاستهزاء، وأكد كلامه بـ (إن) فجاء رد (فاختة) عليه بما يدحض ويبطل ما اعتقده معاوية – رضي

---

[١]) الخصي هو : المخصي موضع القطع من الخصي، ينظر: المعجم الوسيط د/ إبراهيم مصطفي وآخرون ، تحقيق مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة (د–ت) مادة (خصي) .

[٢]) الأجوبة المسكتة ١٧٠ ج ١٠٠٨ .

الله عنه – من كونه لا مانع من أن ينظر هذا الخصي إلى (فاختة) فأجابته بقوة حجتها، وذاك أنه إن لم يكن له آلة توقعه في الفحشاء فإن له عينين يتصفان بالزنا، فقالت: " إن الذي قطع منه لم يحل له ما حرم الله عليه " للتأكيد علي ذلك، ولتوثيق كلامها، ولتشويق القارئ إلى معرفة الجواب، وبداخله الكناية عن غيه، وللتأكيد على عفتها ونزاهتها ، وتحقيق الحرمة، وعدم الحل؛ وذلك لقوله تعالى: " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم " سورة النور جزء آية ٣٠ ، وقوله تعالى: " وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن " سورة النور جزء آية ٣١ وهذا يدل على تطبيقها لتلك الآيات وحسن فهمها لها وسعة ثقافتها، والمعنى " وإذا رأى ما لا يحل له غض من بصره ولا ينظر إليه " ([1]) ومعنى الآية يقرر ويعضد رأيها وجوابها ، فـ (يغضوا) أي: " يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه مما قد نهاهم الله عن النظر إليه".([2])

ومن الملاحظ أن المرأة أكثرت وكثفت من القيود في كلامها من: (الشرط والجواب، وتكرارها ضمير الغيبة ، والنفي ، والكناية) وإتيانها بالحوار كل هذا دعمها في قوة جوابها، ودفع المخاطب إلى التسليم لكلامها ، فتحقق الإسكات عن طريق قوة الحجة.

---

[1]) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، تح أحمد محمد شاكر ١٥٥/١٩ ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

[2]) ينظر: تفسير الطبري ١٩/ ١٥٤.

الجواب السابع :

ومما جاء من قوة الحجة في جواب المرأة مما يدل على قوتها وصلابتها في استخدام الأساليب اللغوية والبلاغية المؤكدة على ذلك ما شاهدناه في جواب أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – وذلك أنه " لما صلب ابن الزبير قال عمر لأسماء : اصبري، فإن الجثث لا تألم ، والأرواح حيث يشاء الله، فقالت: وما يمنعني أن أصبر، وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي([1]) من بغايا بني إسرائيل "([2]).

جاء قول أسماء رضي الله عنها) :وما يمنعني) سؤالاً خرج من معناه الحقيقي إلى معنى النفي، والمعنى: لا يمنعني شيء من الصبر ولي عبره في قتل يحيى بن زكريا.

والمقتول المهدى جثته لبغي من بغايا بني إسرائيل هنا هو (يحيي بن زكريا) عليه السلام، تريد بذلك ذم الشامتين في مقتل ابنها، وإقناع المخاطب بمدى تماسكها وعدم ضعفها وشعورها بالنصر، وذاك من حسن اختيارها للأساليب البلاغية والألفاظ المعبرة عنها.

وقد أراد عمر – رضي الله عنه – أن يواسي ويعزي السيدة أسماء في فقد ابنها (ابن الزبير) – رضي الله عنه – سعياً منه إلى تهدئتها، وتخفيف الحزن والهم عن قلبها فلجأ إلى أسلوب الأمر (اصبري) الذي قصد به

---

[1]) بغي : الباء والغين والياء أصلان أحدهما : طلب الشيء والثاني جنس من الفساد ، والبغي الفاجرة .. وإذا كان ذا بغي لابد أن يقع منه فساد ، ينظر: مقاييس اللغة مادة (بغى) .

[2]) الأجوبة المسكتة ١٦٨ ، ج ١٠٠١ .

النصح والإرشاد، والتعليل بقوله: (إن الجثث لا تألم) وعضد كلامه بمراعاة النظير في قوله : (الجثث – الأرواح – الألم) فأجابته إجابة تنم عن قوة شخصيتها، وصلابتها بالأساليب المعبرة عن هذا من خلال التمهيد بالحوار والعطف، والنفي في قولها: (وما) للتأكيد على عدم تأثرها، وصلابتها وعدم ضعفها وصبرها، والمد في (ما) أفاد ثقتها في نفسها، واعتزازها بكرامتها، وإحساسها بالنصر، وعدم تزعزعها أمام الخطوب، وعبرت بالفعل المضارع (يمنعني) لإفادة التجدد والحدوث، وهو استفهام خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى النفي، وأكدت الجزاء أيضا بـ(قد ، والفعل الماضي) فأشعر ذلك بسرعة وقوع الجزاء على الخصم، وجملة: (وقد أهدي) جملة حالية، وساعد ذلك على ترابط الكلام وتعانقه، فالاستفهام المقصود منه النفي تآزر مع الجملة الحالية في إفادة الرضا والثبات بهذه الفاجعة، ومما تعاضد مع هذا الأسلوب أيضاً الجناس الاشتقاقي في قولها :(بغي – بغايا) وذلك للتأثير على المخاطب ببيان مدي تماسكها أمام هذه الفاجعة، وقد ساعد هذا الجناس على التعانق والترابط بين العبارات مع التأكيد على تماسكها وتمالكها لأعصابها .

الجواب الثامن :

ومن قوة جواب المرأة، ووثاقة حجتها لإزالة الحرج عنها بتوظيف الأسلوب الحكيم هرباً من تطفل الخصم، وشغله بما هو أجدى وأنفع لحاله ما ورد في هذا الجواب :" قال عمرو بن العاص لأمة معها طبق مُغطًّى: ما في الطبق؟ قالت: فلمَ غطيناه إذن؟ "([١]).

وصلت هذه الأمة إلى قمة الذكاء في الجواب حينما أجابت بأوجز عبارة وأقصرها عن سؤال محرج، فأجابت السائل الذي كان هدفه الإحراج والتطفل بأحسن جواب، فصدته بطريقة لطيفة ومهذبة حيث واجهت السؤال بسؤال مثله، فبدأت في إقناعه بشغله عن السؤال الذي سأله عما في الطبق، وأجابته بذكاء وبديهة عالية ، بادئة كلامها بـ (الفاء) الدالة علي المفاجأة بالإجابة وأتت بأداة الاستفهام (لم) إنكاراً عليه ليرجع عن تطفله ، وفائدة الإنكار " أن يتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل، ويرتدع ، ويعيى بالجواب "([٢]).

والجواب (فلم غطيناه) أفاد معني التعجب من حال المخاطب ، والمعنى: إذا كشفت عما في الطبق فالعجب أن أغطيه، إذ لو أردت أن يكشف ما به لما غطيته، وهذا من الأساليب الحكيمة المعجزة الفصيحة، فقولها: (فلم غطيناه) عدول عن جواب السائل بما يريد معرفته، والجواب قد يكون مطابقاً للسؤال متوجهاً له، وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال

---

[١]) الأجوبة المسكتة ١٦٧ ، ج ٩٩٧ .

[٢]) دلائل الإعجاز ١١٩/١ .

تنبيهاً على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك ([1]) وهو ما يسمى بالأسلوب الحكيم.

وعبرت بقولها: (إذن) لتصل بالسائل إلى تعديل سلوكه للأفضل مستقبلاً ، لأن (إذن) تنقل الفعل إلى الجواب والجزاء بعد أن لم يكن كذلك، وإلى الاستقبال أيضاً"([2]) فأجادت اختيارها للفاصلة بـ (إذن) وهي حرف جزاء ومكافأة([3]) أفاد إيجازاً يروق للمخاطب؛ كما أفاد اختصاراً في الكلام الطويل بيانه بأوجز لفظة وأبلغها فحذفت جملة: (إذا اخبرتك عما بداخل الطبق) وقد استطاعت بقدرتها على الإيجاز ، وتركيز المعاني أن توحد العبارة ، وتكثف المعني ([4]) ولذا قيل: " أحسن الجواب كله ما كان حاضراً ، مع إصابة المعنى ، وإيجاز اللفظ ، وبلوغ الحجة "([5]) ولذلك حاز جوابها على الإعجاب والقبول لدى المتلقين جميعاً.

---

[1]) الإتقان في علوم القرآن ٢٦٩/٢ .

[2]) كتاب الكليات ـ لأبى البقاء الكفوي فصل الألف والزاي ص ٨٩ .

[3]) ينظر: الكليات فصل الألف والذال ص٨٩ .

[4]) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ١٦٣/٣ .

[5]) معترك الأقران للسيوطي ط ١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان بتصرف .

الجواب التاسع :

ومما جاء من قوة الحجة للمرأة من أجل جهل المخاطب بأحوال العشاق قول نايلة بنت الفرافصة الكلبية في هذا الجواب : " قال عثمان – رضي الله عنه – لنايلة بنت الفرافصة الكلبية([1]) لما صارت إليه: إما أن تتحولي إليَّ أو أتحول إليك، فقالت: ما قطعت إليك عرض السماوة وأنا أكلفك الخطو إلى عرض البيت، فلما قعد منها مقعد الرجل، وذكر شيبه وصلعه، قال: إن من وراء ما تكرهين كل ما تحبين، فقالت: إني من نسوة أحب أزواجهن إليهن السيد الكهل"([2])

عبرت المرأة نايلة عن شدة حبها لـ (عثمان بن عفان) ؛ وتعلقها به لدرجة أنها تحملت المشاق، وقطعت المسافات من أجل الذهاب إليه، فلما قعد منها (مقعد الرجل من المرأة) وهو كناية عن الجماع، فحاورها بأن ذكر لها شيبه وصلعه اعتقاداً منه في تراجعها عن حبه، فردت عليه هذا الاعتقاد، بل وفندته بإقناعها له بعدم صحة فكرته وخطئها، وأمنت روعه وخوفه، وأعلنت له عن شدة حبها له وتعلقها به، وحرقتها من فراقه، وإزالة إنكاره لحبها من خلال التعبير بجملة خبرية حقيقية مؤكدة بـ (إن) الناسخة لتؤكد

---

[1]) هي : نايلة بنت الفرافصة الكلبية امرأة عثمان – رضي الله عنه – ... روي عنها النعمان بن بشير وغيره ، قدمت علي معاوية بعد قتل عثمان فخطبها، فأبت أن تنكحه، ولدت لعثمان أم خالد، وأروي ، وأم أبان ، وكانت أحظى نساء عثمان عنده في وقتها، وتزوجها وهي نصرانية، وأسلمت عنده على يده، ينظر: تهذيب الأسماء واللغات لأبي زكريا النووي صححه شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان (د–ت) .

[2]) الأجوبة المسكتة ١٧٣، ١٧٤ ، ج ١٠٢٨.

علي الترابط بينهما، وعدم تخليها عنه، ونفي شكه في حبها، ثم عبرت بضمير التكلم في (إني) لتخص نفسها بالخبر، ثم جمعت (نسوة) ونكرتها للتعظيم والنوعية أي : نسوة من نوع خاص، وهي منهم، فالجواب الوارد في قول المرأة مغاير لكلام سيدنا عثمان – رضي الله عنه – ورد عليه قصدت به طمأنته، فهي تدفع اعتقاده الخاطئ فيها، وترد على زعمه وتبطل كلامه، وأكدت كلامها بإن في قولها: (إني) فضلاً عن إسمية الجملة وصيغة التفضيل (أحب) وتعريف المسند إليه بأل .

ثم بالغت في بيان شدة حبها وإنكارها أن تكون له كارهة فجاءت بـ (أفعل التفضيل) وهو (أحب) لتدلل على تفضيلها له، ورضاها عنه، ثم أكدت كل ذلك بحسن النسق([1]) بتتابع الصفات والكلمات في قولها: (السيد الكهل) وذلك لتعانق العبارات وتلاحمها، وتوضيح فكرتها ، والسيد : المالك الذي تجب طاعته([2]) والكهل عند العرب ما جاوز الثلاثين، وإنما سمي كهلاً؛ لكماله، واجتماع قوته([3]) ثم لجأت إلى تعريف الصفات إشارة إلى اكتمال قوته، ثم وصلت إلى قمة الإقناع بالعبارة الموجزة .

ونلاحظ أنها قدمت (السيد) على (الكهل)؛ وذلك لتعبر عن اهتمامها بارتفاع منزلته في قومه، فقدمته على الكهل الذي يدل على اكتمال القوة

---

[1]) حسن النسق : هو الإتيان بالكلمات في الشعر والنثر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً، ليس بالمعيب المستهجن، ينظر: الصبع البديعي ٢٨٦، ٢٨٧.

[2]) ينظر: مقاييس اللغة مادة (ساد) .

[3]) لسان العرب مادة (كهل) .

والعقل، وقد قيل: "إن الفتى شديد الحجاب كثير العتاب وإن الكهل لين الجناح قليل الصياح "([١]) .

وينتشر حرف (الياء) في جوابها ليدلل على حرقة حبها واشتعاله، وكذلك حرف (النون) أفاد التنغيم ، وكثرة هذا الحب ، وتملكه منها.

ومن خلال ما سبق تبدو بلاغة المرأة وحسن توظيفها لأدوات الإقناع المختلفة في جوابها.

الجواب العاشر :

ومن أجوبة النساء المتصفة بقوة الحجة لاعتمادها على الحوار، ما جاء في جواب (أم معبد)([٢]) فيما ورد أنه : " قيل لأم معبد التي نزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليها في طريق هجرته: ما بال صفتك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أشبه به من سائر صفات من وصفه؟ فقالت: أما علمتم أن نظر المرأة إلى الرجل أشفا([٣]) من نظر الرجل إلى الرجل "([٤]).

---

[١]) بلاغات النساء لابن طيفور (ص: ٩٥).

[٢]) هي : عاتكة بنت خليف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حزام ، حبشية نزل النبي – صلى الله عليه وسلم – خيمتها في طريق هجرته إلى المدينة ، ينظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا ٤١٦/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

[٣]) أشفى الشيء على الشيء: اقترب منه، المعجم الوسيط مادة (شفا).

[٤]) الأجوبة المسكتة ١٦٩ ج ١٠٠٣.

نزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أم معبد في طريق هجرته من مكة إلى المدينة، ولعب الحوار في جواب (أم معبد) دوراً حيوياً في النص، فبعث فيه النشاط والتفاعل، وكان وسيلة من وسائل الإقناع بقوة الحجة، فبدأ الحوار بالاستفهام الذي خرج مخرج التعجب والاندهاش من مطابقة وصف (أم معبد) لكلام من وصف الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الرجال قبلها.

وهذا من الأسلوب الحكيم، فقد أجابت (أم معبد) إجابة غير متوقعة، حيث أجابتهم ببلاغة عالية بتساؤل أيضا؛ لأن الاستفهام "يثير في النفس التفكير، ويدفعها إلى تدبر الأمور حتى تقنع بتفكيرها الخاص بأنه ما كان ينبغي أن يقع ما وقع، وكان الصواب أن يقع ما لم يقع"([1]).

فبدأت بتفصيل ردها بـ (أما) الاستفتاحية، والكلام يحمل معنى الاندهاش والتعجب والإنكار لكلامهم من أن وصفها للرسول – صلي الله عليه وسلم – جاء مطابقاً لوصف من وصفه من الرجال، وللتشويق، وإثارة القارئ لمعرفة الصواب في الحكم الذي حكموه عليها بأن (نظر المرأة إلى الرجل أشفا) أي: أقرب وأفضل من نظر الرجل إلى الرجل، وجاء (أشفا) على وزن (أفعل) للمبالغة في كمال وصفها للنبي – صلى الله عليه وسلم – كما اشتملت على استعارة تصريحية تبعية لتوحي بالكمال، والنفاذ بكمال الرؤية، كما عقبت بالطباق بين الرجل والمرأة والحكم بأفضليتها ، لأنها تعوِّل على ما في داخله ، فترى ما لا يراه الرجال .

---

[1]) من بلاغة القرآن د/ أحمد أحمد بدوي ١٢٦ ، نهضة مصر – القاهرة ٢٠٠٥م .

ونجد أنها كثفت من المؤكدات في كلامها من : (الشرط والجواب والاستعارة والطباق والتكرار والإيجاز) لتؤكد على رؤيتها النافذة ، حيث جاء وصفها للرسول – صلى الله عليه وسلم – مطابقاً لوصفه الحقيقي ، ومشاكلاً له " مما جعلهم متعجبين مندهشين من هذا الوصف! فدقة المرأة تمثلت في تعبيرها باختيارها للأساليب القاطعة المقنعة، الدالة على سعة اطلاعها وثقافتها، حيث أسكتتهم بجوابها.

الجواب الحادي عشر :

ومن قوة حجة المرأة ما جاء من استخدامها للتعريض في الجواب فتحصل لها بذلك ما تريد ، فقد أورد ابن أبي عون أنه: " قال قيس بن سعد ([١]) لعجوز : ما حالك ؟ قالت : ما في بيتي جرذ ([٢])، قال : ما ألطف ما سألت؛ لأملان بيتك جرذاناً ؛ وأمر لها بمال " ([٣]).

بالرغم من فقر تلك المرأة ، وشدة احتياجها ، لم تصرح لـ (قيس بن سعد) بذلك بل خاطبته بإجابة مقنعة تبين مدي شدة احتياجها فبدأت بالحوار بالنفس في قولها :"ما" ليؤكد علي احتياجها ، وامتداد ذلك والإضافة ، وذلك لجذب انتباهه ، وإصغائه لكلامها ، وإثارة اقتناعه بشدة حاجتها ؛ وبذلك هيأته لقبول كلامها ، ثم ثنت ، ثم ثلثت بالقصد للتقديم أي بتقديم

---

[١]) هو : قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني والصحابي من دهاة العرب ، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب والنجدة ، .... وكان شريف قومه .. توفي في آخر خلافة معاوية، ينظر: الأعلام ٢٠٦/٥ .

[٢]) جرذ : الجيم والراء والذال كلمة واحدة، والجرذ الواحد من الجرذان أي الفئران، مقاييس اللغة مادة (جرذ) .

[٣]) الأجوبة المسكتة ١٧٠ ، ج ١٠٠٩.

المسند علي المسند إليه في قولها : (ما في بيتي جرذ) وذلك للاختصاص، وللمبالغة في بيان احتياجها ، والشفقة عليها وعبر بـ (ما) حرف نفي وذلك لامتداد حاجتها واتساع احتياجاتها .

والإضافة في (بيتي) توحي بطلب الشفقة عليها ، والتعاطف معها ، ثم أتت بالنكرة المفردة في (جرذ) إشارة إلى القلة والندرة ، وذلك لتحثه على التعاطف والشفقة أيضاً ، وتدفعه إلى بذل العطاء لها.

ثم واصلت إقناعه بفقرها، واستمالته لها والتأثير عليه عن طريق التعريض بفقرها ، واحتياجها بأسلوب مهذب ومتلطف ليؤكد معنى الكناية لتصل به إلى العطاء عليها ، ووصوله إلى التعجب والذهول من قوة الحجة تلك المرأة ، وقوة جوابها وتلطفها استحياء ، وحشدها الوسائل البلاغية المقنعة ، ولذلك قال لها: (ما ألطف ما سألت)؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره للإبهام فيه، لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه، فكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن "([1]).

ومن بلاغة جوابه عليها وتأكيد إكرامه لها قوله: (لأملان بيتك جرذاناً) وأفاد قوله: (لأملان) المبالغة في العطاء باستخدام لام القسم ، وكما استخدمت المرأة الكناية في قولها: (ما في بيتي جرذ) كناية عن خلو البيت من الطعام، حتى لم يجد الجرذان طعاماً فهجروا البيت كذلك كان قوله: (لأملان بيتك جرذاناً) ، كناية عن كثرة عطائه للمال الذي يشتري به الطعام فتكثر الجرذان ، ونكر (جرذاناً) لإفادة الكثرة والعموم ثم أكد فيض عطائه

[1]) البلاغة العربية للميداني ١٦٨/١ .

وسخائه بأن أمر لها بمال، وتفيد النكرة في قوله: (بمال) هنا الكثرة فلم يعين عطاءً بل أطلقه دلالة على الكثرة والجود في العطاء.

فهو لم يكتف بإعجابه بجوابها وفقط ، ولكن أغدق عليها العطاء سواء بالنعم ، أو بالمال ، وهذا ما أفاده العطف في كلامه ؛ وذلك لشدة اقتناعه بكلامها ، وأثره عليه ،فبذلك تحقيق لها ما تريد .

هذا ويعد التعريض من أقوي الأدلة التي أتت بها تلك المرأة ؛ ذلك لأن " الملاينة في الخطاب ، وترك المخاشنة في الحوار أقرب إلى روح الدعوة ، وأسرع إلى تحقيق غايتها "([1]) .

الجواب الثاني عشر :

يأتي جواب المرأة معبراً عن قوة حجتها بتعجيز المخاطب بالإجابة على كلامه بسؤال، وهو ما يعرف بالأسلوب الحكيم ومن ذلك ما ورد أنه :" لما أتى هندَ([2]) نعيُ([3]) يزيد بن أبي سفيان ، قيل لها: نرجو أن يكون في معاوية منه خلفاً، قالت: ومثل معاوية يكون خلفاً من أحد؟ فو الله لو

---

[1]) التعريض في القرآن الكريم د/ إبراهيم الخولي ١٦٣، دار البصائر ، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٤م.

[2]) هند بنت عتبه بن عبد شمس بن عبد مناف ، صحابية قرشية عالية الشهرة ، وهي أم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان...كانت جريئة ، صاحبة رأي وحزم ، ونفس وأنفه ، تقول الشعر الجيد، ينظر: الأعلام ٩٨/٨.

[3]) نعي : النون والعين والحرف المقبل أصل صحيح يدل على إشاعة شيء ، ومنه النعيُ خبر الموت ، وكذا الآتي بخبر الموت يقال له نعيّ أيضاً ، ينظر: مقاييس اللغة مادة (نعي) .

جُمِعَتْ العربُ من أقطارها(١) ثم رُمِي به فيها لخرج من أي أعراضها(٢) شاء " (٣).

أرادت هند بجوابها أن تستنكر على المتكلم زعمه أن يكون (معاوية بن أبي سفيان) خلفاً لأخيه الميت (يزيد بن أبي سفيان) فأبناؤها جميعاً سادة، كل بانفراده، ولذلك عدلت عن الإقرار بكلام من واساها ولم تقر له كلامه، وأجابت بسؤال حذفت منه أداة الاستفهام، وحذف الأداة يدل على شدة مصابها، وشعورها بالحزن والضيق والألم لفراق ابنها (يزيد) والغرض من الاستفهام هنا هو النفي، وهو يختلف عن النفي المحض، في أنه استفهام أشرب معنى النفي(٤) فالإنكار والنفي من أن يوجد له مثيل في قولها: (ومثل معاوية يكون خلفاً من أحد) لتثبت به شرف ابنها معاوية، ولذلك اختارت الكناية بمثل عنه؛ لأن " المثل أعم الألفاظ الموضوعة"(٥) للمشابهة، ثم نكرت (أحد) للعموم، وفصلت ما أجملته في سؤالها السابق ثم عقبت بـ (الفاء) والقسم بأقوي ألفاظ القسم، وهو لفظ الجلالة في قولها: (فو الله).

---

١) القطر: بالضم الناحية والجانب والجمع أقطار، وأقطارها نواحيها ، واحدها قطر، اللسان مادة (قطر) .

٢) العرض بكسر أوله وسكون ثانيه ، وآخره صاد معجمة .. وادي اليمامة، ويقال لكل واد فيه قرى ومياه عرض، ينظر: معجم البلدان ٢٠٢/٤ .

٣) الأجوبة المسكتة ١٧١ ، ج ١٠١١ .

٤) معاني النحو ١٠٩/٢ .

٥) الكليات فصل (الميم) .

والقسم والشرط والجواب، وتكرار الفعل الماضي، وتكرار إن واللام، واسمية الجملة، والطباق كلها أدوات فيها محاولة منها لهدم فكرة الخصم المخالفة، والتأكيد على صحة فكرتها ، وعدم الشك فيها في استحالة وجود خلف ليزيد، لأن من زعموه خلفاً له هو سيد مثله، فأغلقت بذلك أي إنكار من المخاطب وأضعفت رأيه بكثرة أدلتها .

ويلاحظ انتشار جموع الكثرة في جوابها (أقطارها – أعراضها) دليلاً علي امتداد شهرته ويوع صيته وسط القبائل .

كما جاء الشرط والجواب والعطف ليؤكد علي ربط الجملتين وجعلهما بمثابة الجملة الواحدة، كما جاء البيان بعد الإبهام للبيان الشافي بتثبيت تلك الفكرة، وانظر إلى مدي اعتزازها به في المبالغة في قولها : (فوالله لو جمعت العرب ... إلخ) ؛ لتدل بذلك علي عظم مكانته ؛ واتساع شهرته في مختلف الأنحاء والأقطار مما يوحي بتفرده، وعدم وجود مضاهٍ له . ولذلك حسن اختيار (لو) كما أن في قولها: (من أيها شاء) بيان أن سيادته عامة تتمناها جميع القبائل فيلتحق بأيها شاء، وجاءت الكناية عن تفرده مؤكدة للقسم والاستفهام والشرط .

ونلاحظ أنها كررت الفعل الماضي المبني للمجهول في قولها: (جمعت، رمي) وذلك لتعظيمه، وإعمال ذهن المخاطب في البحث عن الفاعل المحذوف، ولامتلاء مشاعرها الجياشة بحب معاوية ، ثم لم تكتف بهذا بل كررت الفعل الماضي المعلوم (مرتين) في قولها : (خرج ، شاء) وذلك بهدف التحقيق والتأكيد ؛ وكذلك من أجل التنويع في كلام لتشعل نشاط القارئ . للإصغاء إليها، ثم كررت الماضي أربع مرات لتؤكد علي تفرده وتحقيق عظمته وشهرته وعدم التشكيك في فكرتها، ولذلك أكثرت من

التوكيدات في كلامها من التشبيه، والكناية ؛ لأن القسم " بطبيعته يدفع إلي التطلع لمعرفة المقسم عليه ، لأنه لا يلجأ إلى القسم إلا في الأمور المهمة التي تحتاج إلى تأكيد وثبات ، وكما يثير القسم في النفس الشوق والتطلع إلى الجواب، وكذلك يثيرها الاستفهام والشرط، "ففي الاستفهام تتجمع النفس لمعرفة الجواب، وفي الشرط تتطلع لمعرفة الجزاء "([1]) .

فبالقسم أكدت المرأة وأثبتت إنكارها أن يكون معاوية مجرد خلف لمن قبله، ثم بعثت في الحوار الحيوية والتفاعل معها بمحاولة الاقتناع بفكرتها ، ونقلها للمخاطب ، ثم أثارت القارئ أيضا بتأكيد آخر مقنع ألا وهو (الشرط والجواب) للتشويق ، والتعليق والتأكيد ، وعدم التردد في فكرتها ، ومدي شدة تعلقها به في قولها : (لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمي به فيها لخرج من أي أعراضها شاء) ؛ ولذلك اختارت (لو) الشرطية .

[1]) من بلاغة القرآن ١٨٢ .

المبحث الثاني

بلاغة أجوبةالنساء في كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون (ردالخصم نموذجاً)

يعد رد الخصم وإفحامه نتاجاً لقوة الحجة لدى المرأة، فيعترف لها الخصم بالشيء عند إقامة الحجة عليه ، فيحصل له الاقتناع بعد الإنكار، والاقتناع: هو إذعان نفسي لما يجده المرء من أدلة تسمح له بقدر من الرجحان والاحتمال كافٍ لتوجيه عقله "([1]) فيقع الاقتناع بضعف وجهه نظر المخالف وبطلانها؛ لأن عجز الخصم عن رؤية الحق لوقوعه تحت مؤثرات متنوعة تستوجب الرثاء له؛ والإشفاق عليه، بالرغم مما يبدو من موقفه من تعنت، وهنا يكون موضع الحكمة كلها في التلطف معه؛ واستمالته حتى يصغي بقلبه إلى الحق الذي يصدف عنه ... واستدراجه حتي يأنس لحوار يفدح عقله ، وقلبه ، ويبصر به "([2]).

وهذا هو ما استخدمته النساء في أجوبتهن في رد الخصم وإفحامه، فقد اعتمدن على ضعف حجة الخصم بمعرفة أحواله الاجتماعية أو الدينية أو الأدبية، وأبرزن مواطن ضعفه للرد على زعمه أو افترائه، وكذلك التركيز على مهارات الإيجاز وكيفية اختيار الألفاظ والوسائل المؤثرة من المجاز، والجناس، والأسلوب الحكيم، واستخدام الأساليب التأكيدية كالقسم، والشرط والجواب، واستخدام الجمل الاسمية بكثرة، واتساق الجمل بعضها ببعض، وغير ذلك مما ضمن لها الغلبة والتفوق.

---

[1]) دراسة آليات الإقناع في الخطاب القرآني ٣٣ .

[2]) التعريض في القرآن الكريم ١٦٣.

وهذا ما سوف تطرحه بوضوح الصفحات التالية.

الجواب الأول :

من استدراج الخصم في جواب المرأة ، وتعبيرها عن فداحة جرمه الذي اقترفه، وبيان تناقض ما بين القول والفعل في كلامه ما ورد أنه: " لما قتل مصعب بن الزبير جزعت سكينة، وخرجت من الكوفة، فأطاف(١) بها أهلها فقالوا: أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله ، فقالت: والله لقد قتلتم جدي، وعمي، وأبي، وزوجي مصعباً، أيتمتموني صغيرة وأرملتموني كبيرة، لا عافاكم الله من أهل بلد ، ولا أحسن عليكم الصحابة "(٢) .

لما قتل مصعب بن الزبير – رضي الله عنه – في الكوفة حزنت السيدة سكينة– رضي الله عنها – على زوجها، وصدر منها كلام يشعر بالسخط والغضب من هؤلاء، وهم (أهل الكوفة) حينما أشعروها بالشفقة عليها، وإظهروا لها عطفهم عليها ، وادعوا نصرتها بقولهم: (أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله) ، فردت عليهم بكلام يدل على عظم جرمهم وشناعته بارتكابهم جريمة قتل (مصعب بن الزبير) رضي الله عنه، وتركهم نصرتها ونصرته، فهيأت لذلك بجملة تمهيدية خبرية مؤكدة بـ (القسم) في (والله) لتوثيق كلامها برفضها ادعاءهم الصحبة لزوجها ، وإقرارها لهم بالحقيقة المؤكدة التي لا شك فيها ، وترهيبهم بذكر لفظ الجلالة، وعقبت ذلك

---

١) أطاف بهذا الأمر : أحاط به ، ينظر: أساس البلاغة للزمخشري تح د محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان ، ط ١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م مادة (طوف).

٢) الأجوبة المسكتة ١٧٢ ، ج ١٠١٦ .

بتأكيدات أخرى وهي لام التأكيد ، وقد ، والفعل الماضي في (لقد قتلتم) لتشنيع ما ارتكبوه من الجرم ، وبيان اشتراكهم جميعاً في ذلك الفعل، وللدلالة على شدة مصابها ووطأته .

كما أنها عطفت أنواع القرابة على سبيل الترقي([1]) بما يشير إلي الأبعد منزلة وتعلقاً وصلة بالقلب ثم أردفت ما يعلو ويرقى عليه منزلة؛ إذ منزلة الجد بعيدة والعم أقل منه بعداً ،ثم الأقرب الأب والأقرب منه الزوج ؛ ولذا ذكرته بالاسم واللقب معاً فقالت: زوجي مصعباً.

أو أن هذا الترتيب باعتبار الأسبق قتلاً ، فالذي يليه وهكذا، وغرض هذا الترتيب هو التشويق وشد الانتباه وربط الكلام بعضه ببعض، فالعطف بين المفردات في قولها : (جدي وعمي وأبي وزوجي مصعباً) فيه تأكيد علي كراهيتها لصنيعهم ، وبيان مدي فداحة جرمهم في قتل هؤلاء، وإنكارها لودهم المصطنع، ورفضها صحبتهم ، وقد صرحت باسم زوجها فقط للدلالة علي شدة مصابها بفقده، وشدة جزعها وحزنها عليه.

وللعمل على جذب المتلقي إلى التعاطف معها وإفادة تعلقها بذوي قرابتها وبيان احتياجها له ، كررت ضمير التكلم في كل واحد من هؤلاء، ثم فصلت بين هذا وبين قولها :(أيتمتموني ... إلخ) لتؤكد أيضاً على عظم جرمهم وشناعته، ولكون هذه الجملة مؤكدة للأولى وموضحة لها فبينهما كمال الاتصال، ثم جاءت بجملتين متواليتين، ومتقابلتين، ومعطوفتين في قولها:

---

[1]) الترقي : هو أن يذكر معنى ثم يردف بأبلغ منه، ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ٢١٩/٢ تح د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

(أيتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة) لتناسبهما وتعانقهما، وترابطهما لاتفاقهما في الخبرية فبينهما توسط بين الكمالين، وتآزر العطف في كلامها مع المقابلة ، والسجع ، لبيان تأثير ذلك القتل على وجدان المتلقي في استمالته وكسب تعاطفه فيحزن معها ويقتنع برفضها لصحبتهم، وسخطها عليهم .

ثم واصلت رفضها لصحبتهم بالدعاء عليهم بعدم العافية في قولها: (لا عافاكم الله من أهل بلد، ولا أحسن عليكم الصحابة) وتكرار النفي بـ (لا) والعطف أفادا إنكار صحبتهم ، وكراهتها لهم ، لتركهم النصرة الحقيقية لها، فاستدلت بالقياس الذي يثبت ذلك على عدم النصرة التي تستوجب بطلان الصحبة.

وقولها: (أهل بلد) فيه مجاز مرسل لعلاقة الكلية؛ وذلك للمبالغة في بيان شدة ما ارتكبوه من القتل ، فهم أهل بلد تواطأت على الظلم ، فنلاحظ مدي بلاغة السيدة سكينة – رضي الله عنها – في هذا الجواب لتصل بالمتلقي إلي الاقتناع، وبطلان ما اعتقده بقوة حجتها، ويعد الحوار والقسم والدعاء والمقابلة من أبرز ما استدلت به لإبطال الفكرة المخالفة، ولذلك صدرت كلامها بالقسم لأنه ساعدها علي أن يوهن في النفس الفكرة المخالفة ، ويدفع إلي الشك ، ويبعث المرء علي التفكير القوي فيما ورد القسم من أجله([1])، وكذلك ساعدها الدعاء علي أن تشفي غليلها من خصمها من غير أن تجعل له سبيلاً ، ولذلك يعد جوابها بارعاً في استهلاله وختامه،

[1]) ينظر : من بلاغة القرآن صـ١٧٠ .

مشحون بالبلاغة التى دفعت خصمها إلى الاستسلام لها، والاقتناع بكلامها.

الجواب الثاني :

ومن جواب المرأة ودحضها لاعتقاد الخصم وقدرتها علي تعجيزه وتغيير رأيه باستخدام سلاح البلاغة وحسن توظيفها للأساليب البلاغية ما ورد أنه: " مر رجل بامرأة فقال لها: هل من ابن يباع ؟ فقالت له: إنك للئيم أو حديث عهد بقوم لئام، وكان قرشياً فتزوجها "([1])

صدر هذا الرجل كلامه باستفهام يفيد السخرية والاستهزاء من شأن هذه المرأة لإحراجها، والطعن في نزاهتها، مما دفع تلك المرأة إلى هذا الجواب لبيان استيائها من كلامه وشعورها بالضيق من اتهامه لها ولإثارة التفاعل معها فأجابت بإجابة موجزة استطاعت بها التغلب عليه وقلب الحكم عليه بتحقيره وذمه، وهذا الجواب الذي جاء على البديهة يدل على استجماعها لقواها، وترتب أفكارها ، فقالت: " إنك للئيم أو حديث عهد بقوم لئام " .

فبدأت بـ(إن) للتأكيد علي نزاهتها وعفتها، ودقتها اللغوية والبلاغية، فهي تثبت لؤمه بما يعني أنها عفيفة، وقد نفت بذلك دعوى هذا السائل، وربطت ما بين السؤال والجواب، ثم عقبت بـ (كاف الخطاب)؛ لبيان اختصاصه باستحقاق اللؤم، والتأكيد علي ذلك بالجملة الاسمية لتدل على ثبات صفة اللؤم فيه ودوامها، ونكرت (لئيم) للتحقير، وجاءت بـ (لئيم)

[1]) الأجوبة المسكتة ١٧١ .

على وزن (فعيل) لتفيد لزوم الوصف له، وللمبالغة في تحقيره وإهانته؛ فهو لئيم ليس من الكرام، لأن " اللؤم بالضم ضد الكرم(١).

وعطفت على جملة وصفه باللؤم قولها: (أو حديث عهد بقوم لئام) فعبرت بـ (أو) المفيدة للتخيير لتتراجع عن وصفها له بأصالة اللؤم لأنه من قريش، فهو حديث العهد بهذه الصفة.

وعبرت بـ (حديث عهد) لأنها تعني عدم تأصل اللؤم فيه: "فالعهد هو الحفاظ ، ورعاية الحرمة ، والأمان ، والالتقاء ، والمعرفة " .

ولعل قولها : (أو حديث عهد بقوم لئام) فيه تلطف وتنزل للأدنى، فهو إما لئيم أو قريب الخلطة بقوم لئام فأفادت الأداة (أو) تنويعاً وتدرجاً في الحكم ، ودل هذا على حياء وتلطف المرأة وحسن جوابها ،فهي تحثه على إزالة ظنه بها، وهذا الأسلوب الذي دعاه إلى الارتباط بها بعد ذلك فتزوجها.

فهي لم تكتف بنفي الدعوي بكل هذه المؤكدات، بل أتت بالتعريض لتنفي عدم نزاهتها نفياً تاماً وتثبت عفتها ونزاهتها، فأقامت الدليل علي طهارتها؛ ومدي تهذيبها وحيائها ولطفها بالخصم في عدم التصريح له بحقارته أو التعبير عنه بألفاظ فاحشة، فكانت الكناية بذلك وسيلة من وسائل الإقناع والتأثير؛ لأن الكناية تعمل على " إحكام التهرب من إرادة المعني عند الإحراج؛ وذلك إذا كانت إرادته تسوء المخاطب به؛ أو تسوء غيره من أنداده أو حساده"(٢) .

---

١) القاموس المحيط فصل اللام والهمزة والميم .

٢) البلاغة العربية للميداني ٤٦/١ .

ولذلك، فبفضل بلاغة المرأة في جوابها، وإيجازها وقدرتها على الإقناع ، ودقتها اللغوية المحكمة فحازت بذلك على إعجاب هذا الخصم، وتأثره بقوة جوابها ، فحدث التآلف والإعجاب بينهما فتزوجها في أسرع وقت ، وهذا ما أفادته (فاء) العطف .

الجواب الثالث :

ومن رد الخصم في جواب المرأة عند قصد إحراجها والتعنت معها، بما يظهر حرصها على تغيير رأيه ، ونفي دعواه بقوة الدليل والتلطف في جوابه ما ورد أنه: " اعترض رجل جارية فقال لها: ما اسمك؟ قالت فلانة، فقال لها: وما تحسنين يا بظراء؟ قالت: أشخص([١]) إلى الأنبار([٢]) في شهر وأرجع في ليلة "([٣]).

صدر من المخاطب عدة تساؤلات، أولها قوله: (ما اسمك؟) فأجابت المرأة عليه بقولها: (فلانة) نكرة ولم تصرح باسمها حياء، ولكن التساؤل الثاني كان يقصد به المخاطب إحراج تلك الجارية، والطعن في نزاهتها وشرفها وتحقيرها بقوله: وما تحسنين يا بظراء؟ والغرض من الاستفهام السخرية والتوبيخ، ومناداتها بالوصف القبيح (يا بظراء) يقصد به ذمها لإشعارها

---

[١] أشخص : شخص البصر إذا سمح وطمح .. شخص عن أهله : ذهب ، ينظر: اللسان مادة (شخص) .

[٢]هي : مدينة قرب بلخ ، على الفرات في غربي بغداد، بينهما عشرة فراسخ طولها تسع وستون درجة ونصف ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلثان، وبها كان مقام السلطان، وهي على الجبل، وهي أكبر من مرو بالقرب منها ، ولها مياه وكروم وبساتين كثيرة، ينظر: معجم البلدان للحموي ٢٥٧/١ ، دار صادر بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥م .

[٣] الأجوبة السكتة صـ١٧٣.

بالدونية والحقارة والسخرية منها، فإن البظراء هي بينة البظر طويلته([1]) بما يدل على عدم اختتانها واتباعها سنن الفطرة، فتكون مخالفة للشرع عرضة للرذيلة، فأجابته بقولها: (أشخص إلى الأنبار في شهر وأرجع في ليلة).

وهذا من الأسلوب الحكيم، فلم تهتم بجوابه إلى ما يريد، لكنها هيأته إلى الإقتناع بكلامها، وذلك بافتراضها عدم صحة ما نسب إليها من عدم العفة والنزاهة، وأتت بالدليل على دحض دعواه في قولها: (أشخص إلى الأنبار في شهر وأرجع في ليلة) وهذه العبارة تقصد منها أنها لا تبقى خارج ديارها بل ترجع في سرعة فلا تتهم.

ثم إنها اختارت (أشخص) مكان (أذهب)؛ لأن " شخص الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في شيء من ذلك الشخص، وهو سواد الإنسان إذا سما لك من بعد ثم يحمل على ذلك فيقال : شخص من بلد إلى بلد "([2]) كما أوحت بالمعاناة والمشقة بينما (ذهب) تدل على " ذهاب الشيء ومضيه "([3]) فقط.

وعضدت الأسلوب الحكيم والكناية بذكر ابتداء الغاية ونهايتها؛ فالذهاب (في شهر) والرجوع (في ليلة).

ثم جاءت المقابلة معضدة للكناية في التأكيد على عفتها ونزاهتها في قولها :" أشخص إلى الأنبار في شهر وأرجع في ليلة ".

---

[1]) اللسان مادة (بظر).

[2]) مقاييس اللغة مادة (شخص).

[3]) المرجع السابق مادة (ذهب).

وهذا الجواب يتضمن فناً بديعياً اسمه (النزاهة) ومعناه : نزاهة ألفاظ الهجاء، وغيره من الفحش([١]) وهكذا رأينا ذكاء المرأة في جوابها الذي أزالت به الإحراج عنها، والطعن في شرفها بفضل حكمتها وبلاغتها ، مما أعجز الخصم عن الرد عليها، فسكت ولم يجبها.

الجواب الرابع :

ومما جاء من رد المرأة على الخصم مما ساعد على إفحامه وإسكاته، عن طريق الاقتباس من النصوص المختلفة من القرآن الكريم، والشعر، وعن طريق معرفتها بخصائص الناس وأنسابهم ما ورد أنه: " مرت امرأة نميرية على مجلس قومها في يوم ريح، فقال رجل منهم: هي رسحاء ([٢]) فقالت: يا بني نمير، ما أطعتم الله ولا أطعتم الشاعر، قال الله عز وجل: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} [النور: ٣٠]، وقال الشاعر:([٣])

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا "([٤])

نجد في جواب (المرأة النميرية) أنها حثت قومها على غض البصر، والإقلاع عن النظر إلى المحارم، ودعوة بني قومها إلى الاحتشام؛ وذلك

---

[١]) الصبغ البديعي ٢٩٥.

[٢]) الرسح: الرَّسَحُ خِفَّةُ الأَلْيَتَين ولصوقهما ... والرَّسَحُ أَن لا يكون للمرأَة عجيزة ، لسان العرب مادة (رسح) .

[٣]) البيت في ديوان جرير صـ٩ طبع دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – لبنان / ط أولي سنة ١٩٩٧م – ١٤١٧هـ وهو في وقعة كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي مضر، وكانت لكلاب على بني نمير، فاستغاثت نمير من تميم ، وبنو نمير من أشراف قيس وذوائبها حتى قال جرير فيهم فقضى، ينظر: العقد الفريد ١٧٧/٦ .

[٤]) الأجوبة المسكتة ١٧٤ ، ج ١٠٣٣ ، والعقد الفريد ١٢٨/٤ .

عندما نظروا إليها ووصفوها بـ (الرسحاء)، فأقنعتهم بخطئهم بالحوار الذي هيأت به قومها إلى التفاعل معها، وتقبل كلامها ، ثم جذبت انتباههم بالأسلوب الإنشائي في النداء في قولها: (يا بني نمير)، وكان الغرض منه هو ذمهم ، وتحقيرهم ، وتنقيصهم، ثم نادتهم بلفظ الكل وأرادت الجزء وهو جماعة منهم، وهذا من المجاز المرسل لعلاقة الكلية أفاد ذمهم، وبيان مدى انتشار هذه النقيصة فيهم حتى أصبحت سمة فيهم كلهم ، وفصلت جملة (يا بني نمير) عن قولها : (ما أطعتم ...) لاختلاف الجملتين في الخبرية والإنشائية لكمال الانقطاع بلا إيهام، وهذا الفصل أفاد غيهم وسفههم، وتكرار فعل الطاعة في قولها: (ما أطعتم الله، ولا أطعتم الشاعر) للتأكيد على غيهم ونقصان حيائهم، وفيها إجمال، جاء بعده التفصيل بذكر كلام الله وكلام الشاعر مفصلاً.

فأجملت أولاً لغرض التشويق والإبهام ثم بدأت بالتفصيل ، فأوردت النص القرآني المقتبس في قوله تعالي :" قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم " لتوثق كلامها بقوة الدليل الذي لا منازع فيه ولا شك ، والذي يدل على التنفير من ذلك الفعل ، مما يدل على قوة عقيدتها ، وتمسكها بدينها ، ونزاهتها وعفتها ، وترسيخها لمبدأ المحافظة على المحارم.

ثم ثنت بدليل آخر في مقام ثانٍ يؤثر على العاطفة ، ويحث على المحافظة على المحارم ، والاقتناع بفكرتها ، وهو الاستدلال بقول الشاعر : فغض الطرف إنك من نمير ..... الذي يعلن عن قبحهم وسفههم وحمقهم واشتهارهم بتلك الصفة وسط القبائل للتأثير على عاطفة المخاطبين بمحاولة تدبر ذلك الدليل .

ثم جاء العطف بين الجملتين (ما أطعتم .. ولا أطعتم) بـ (الواو) لتناسبهما وتعانقهما، واتفاقهما في الخبرية للتوسط بين الكمالين، وهذا الوصل والتكرار أكد على قبحهم ، فتكرار النفي بـ (لا ، ما) وتكرار الفعل (أطعتم) يشير إلى تأجج مشاعر الرفض الذي شعرت به تلك المرأة، وشدة سخطها عليهم، فالطاعة التي تختلط بمعصية تعد طاعة ناقصة، وهذا ما أفاده حرف (الطاء) وتكراره مرتين في (أطعتم) من استعلاء الحمق والسفه عليهم، وهذا ما أكدته الكناية أيضاً، وانظر إلي دقتها في اختيارها لـ (ما) دون (ليس) لأن (ما) أقوي من ليس في النفي "([١]) أما اختيارها لـ (لا) ثانياً فلإفادة امتداد النفي، فهي لنفي ما بعد ، فقد ختمت لا بالألف يقول ابن القيم: " ولا يمتد معني النفي فيها كامتداد معنى النفى في حرف(لا)"([٢]) .واتبعت المرأة النميرية أسلوب التدرج ، والتدلي من الأعلى إلى الأدنى في بيان عدم امتثالهم لله،أو للشاعر،

---

[١]) معاني النحو د.فاضل صالح السامرائي ٢٥٢/١ ، ط دار الفكر – عمان – الأردن (د–ت) .

[٢]) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ٩٥/١ ، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنات (د–ت). فهمت والأحاديث أيضاً دلت على تحريم النظر، فعن حسين بن علي عن موسى الجهني قال: كنت مع سعيد بن خبير في طريق فاستقبلتنا امرأة فنظرنا إليها جميعاً قال : ثم إن سعيدا غض بصره فنظرت إليها قال : فقال لي سعيد: الأولى لك والثانية عليك ، وقوله: أن النبي – عليه السلام – قال لعلي: " لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى، وليس لك الآخرة " ينظر: المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ٦/٤٠ تح د. كمال يوسف الحوت ، طبع مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١٤٠٩هـ ، الحديث رقم ١٧٢١٨ باب ما قالوا في الرجل تمر به المرأة فينظر.

واتسمت ألفاظها بالنزاهة([1]) وجعلت أدلتها متنوعة، وقوية وغنية بالمعاني التهذيبية المختلفة، مما جعلت الخصم يفكر في حالة، وفي أدلتها فيرجع عن خطئه ويمتثل لقولها بالاستجابة فيسكت.

وهكذا شفت المرأة غليلها من خصومها دون المساس بهم مستعينة بثقافتها الدينية والأدبية، ومعرفتها بالأعراف القبلية والسلوك الاجتماعي.

الجواب الخامس :

ومما جاء من جواب المرأة في رد الخصم عن طريق الاقتباس من القرآن ما ورد أنه: " شهدت أم المريسي عند بعض القضاة ، فجعلت تلقن امرأة معها الشهادة، فقال الخصم: أما تراها تلقنها؟ فقالت: يا جاهل، إن الله يقول: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} [البقرة: ٢٨٢]"([2]).

ثبتت شهادة (أم المريسي) عند بعض القضاة (فجعلت تلقن امرأة معها الشهادة) والتلقين من (لقن) ، وهي كلمة صحيحة تدل على أخذ علم وفهم، ولقن الشئ لقناً: أخذه وفهمه([3]) والتلقين جاء عقب الشهادة، لذلك عطفت هذه الجملة بـ (الفاء) ثم جاء استفهام الخصم الدال على جهله، وعدم فهمه فأنكر، واستبعد هذا التلقين في قوله: (أما تراها تلقنها) وتعجب من موقف القاضي، فما كان من المرأة إلا أن أجابته بإجابة موجزة ومختصرة ومركزة تنم عن علمها، وثقافتها الدينية، وحسن فهمها للنصوص القرآنية، وعبرت عن احتقارها له وذمه بجملة إنشائية قصيرة

---

[1]) النزاهة تعني نزاهة ألفاظ الهجاء وصونها من الفحش، ينظر : الصبع البديعي ٢٩٥ .

[2]) الأجوبة المسكتة ١٧٧ ، ج (١٠٤٨) .

[3]) مقاييس اللغة مادة (لقن) .

مصدرة بالنداء في قولها: (يا جاهل) لذمه وتحقيره، وجذب انتباهه لها ثم أتت بالمنادى على زنة (فاعل) في قولها: (جاهل) وهو اسم فاعل يدل على المبالغة في اتصافه بالجهل كما يدل على الملازمة لهذا الوصف، ولاحظ المد في (يا) في (يا جاهل) ، لامتداد ذمها له .

ثم فصلت قولها: (إن الله يقول)، ولم تعطفه على ما قبله لاختلاف الجملتين في الخبرية والإنشائية؛ وللتأكيد علي خطئه، وإزالة رفضه لهذا التلقين، وقبوله بالصواب الصحيح.

وكما أن هذه العبارات تشتمل على إبهام جعلت هناك تشويقاً ، وضحته بالنص القرآني .

كما أن في قولها: (إن الله يقول) بالمضارع لا الماضي ما يدل على تجدد الحكم وصلاحيته لكل مسألة وهو ما أفاده المضارع في: (يقول).

وكان السر في احتياج المرأة في شهادتها إلى امرأة أخري ؛ هو أنها " يغلب عليها جانب العاطفة ، وتتأثر أحكامها بأهوائها ، ولذا تحتاج إلى امرأة أخرى تؤكد ما تقول حتى تقطع الشك باليقين ، وإضافة لمسئوليات المرأة وما يعتريها من أحاسيس ميزها الله بها، كالأمومة والحمل والرضاع مما يجعلها في هذه المدة أكثر اهتماماً بالمولود الذي بين يديها .. بما يفوق اهتمامها بتفاصيل العقود المالية أو بالحديث الذي دار بحضرتها، ولهذا كان لزوم الثانية معها لتذكر أحداهما بما يغيب عنها "([1]).

---

[1]) قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة للشيخ محمد الغزالي صـ ٢٦٣ ، دار الشروق (د – ت) .

وقد أثبت ذلك علم النفس حيث أثبت أن المرأة بطبيعة تكوينها تتعرض لبعض المؤثرات والتغييرات التي تطرأ عليها، وتؤثر في حالتها الصحية والنفسية والعصبية ... إن المرأة مثلاً أثناء فترة الدورة الشهرية يحدث لها بعض التغيرات نتيجة تغير نسب الهرمونات في جسمها وزيادة كمية المخزون من الماء في الجسم، وارتفاع ضغط الدم في هذه الفترة ، والفترة السابقة لها مباشرة مما يجعل المرأة أكثر توتراً وعصبية ، ويقلل من قدرتها على التركيز والانتباه بالإضافة إلى التعب والإرهاق([1]).

كما أن " اجتماع المرأتين على النسيان أبعد في العقل من صدور النسيان عن واحدة "([2]) ، وإن لم يكن هذا النسيان بالكلية، وإنما هو " نسيان جزء منها ، وذكر جزء ويبقي المرء حيران بين ذلك ضالاً "([3]) فالضلال فسر بالنسيان ، وضل نسي، وضل الطريق فقده فلم يهتد إليه([4]) .

والنص القرآني في قوله تعالى: (أن تضل أحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) يقر عملية التلقين للأخرى؛ وذلك لأن النسيان غالب على طبع النساء لكثرة الرطوبة في أمزجتهن "([5])،

---

[1]) ينظر: سيكولوجية المرأة – نادية الشرنوبي صـ ٣٢ (د– ط – ت) .

[2]) التفسير الكبير للرازي ١٠٥٣/١ ، دار النشر دار إحياء التراث العربي (د–ت) .

[3]) الجامع لأحكام للقرآن للقرطبي ٣٩٧/٣ تح د – أحمد البردوني ، ود / إبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .

[4]) المعجم الوسيط د– إبراهيم مصطفي وآخرون ، تح / مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د–ت) مادة (ضل).

[5]) روح المعاني للآلوسي ٥٨/٣ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت . (د– ت) .

وجاء جواب المرأة المشتمل على الاقتباس([١]) من كلام الله قاطعاً لكل حديث؛ مما جعل الخصم يسكت، ويعجز عن الرد، وهذا الاقتباس أرادت به تقوية كلامها، وفيه احتجاج على صحة كلامها بنص مقدس لا يمكن الشك أو الطعن فيه، ولا شك أن " الكلمة القرآنية تسبغ على النص الإنساني طاقة دلالية تشع إيحاءات ثرية، ومتعددة اعتماداً على قدرتها على منح النص مظهراً من مظاهر القوة والمتانة، وانطلاقا من المتكلم يستمد قوة من قوة ذلك النص، فينتصر لرأيه فتقوى فكرته، وتشتد حجته، وبذلك يزداد التأثير، وترتفع منزلة الكلام والمتكلم "([٢]) .

فلا عجب أن المرأة فقهت كل هذه المعاني وفهمتها ، فلذلك جاءت إجابتها موثقة وقوية، كما استعانت بالحوار الذي ساعد على التشويق، والإقناع والإمتاع، وبذلك حصلت على تسليم الخصم، والإذعان لقولها، وركزت على كوامن ضعفه من خلال عدم تنبهه للنص القرآني، فأخرسته عن الكلام.

---

[١]) الاقتباس هو : تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه بأن لا يقال قال الله تعالى ونحوه، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباساً، ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي١/٢٨٦ تح/ د محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م ، ويعرف ايضاً بأنه : ان يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه، عروس الأفراح ٢/٢٣٣ .

[٢]) الحضور البلاغي في الأجوبة المسكتة لمنيرة محمد فاعور صـ ٣٢.

الجواب السادس :

ومما جاء من جواب المرأة المسكت المستند على القصة ، وكان إفحام الخصم فيه عن طريق الاقتباس من القرآن مما جعل المخاطب يعترف بقوة علمها، والإشادة لها بالتفوق ما ورد أنه " خطب عمر – رضي الله عنه – الناس فقال: ما هذه الصدقات التي مددتم أيديكم إليها ؟ لا يبلغني أن رجلاً مد يده إلي ما يجاوز صدقات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا رددت الفضل منه إلي بيت المال، فقالت امرأة فوهاء من صف النساء: ما جعل الله لك ذلك يا ابن الخطاب، وقد قال الله وقوله أحق بالقبول من قولك: {وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [النساء: ٢٠]، فقال عمر: أيها الناس، امرأة أصابت، ورجل أخطأ، ناضل أميرُكم فنُضِل"([1])

بدأ عمر خطبته بجمل توعدية وتهديدية عن طريق الأسلوب الاستفهامي المفيد للإنكار، وإحداث الرهبة والهيبة في قلوب المخاطبين في قوله: (ما هذه الصدقات التي مددتم أيديكم إليها؟)؛ وذلك لإثارة السامع، والتدليل على ثورته وهياجه، وتغلغل مشاعر الإنكار بداخله واستغرابه، ثم أكد ذلك بالمد في (ما) الذي أفاد امتداد استغرابه، ثم كثف من التأكيد على كلامه بأسلوب آخر وهو القصر بالنفي والاستثناء في قوله: (لا يبلغني أن رجلاً مد يده إلي ما يجاوز صدقات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا رددت الفضل منه إلى بيت المال) ، فهو بذلك يفيد المبالغة، والتأكيد على إنكاره الزيادة في المهور، واستغرابه للمبالغة في زيادة تلك المهور عما

---

[1]) الأجوبة المسكتة ١٦٨ ، ج ٩٩٩.

كان يفعله النبي وصحابته، ولكن المرأة لم تعبأ بقول سيدنا عمر – رضي الله عنه – ولم تتأثر بتهديده؛ لما رأت في ذلك من مخالفة للقرآن الكريم، وأجابته إجابة فصيحة أسكتته وأعجزته عن الرد، وخاصة أنها امرأة موصوفة بأنها (فوهاء)([١]) كناية عن فصاحتها والمبالغة في ثقافتها ورجاحة عقلها وقوة حجتها وذكائها وحسن فهمها للآيات القرآنية.

وصدرت رفضها لكلامه بالنفي في قولها: (ما جعل الله لك ذلك يا ابن الخطاب) فقولها: (ما) للإشعار بشدة رفضها، وذلك لتفيد امتداد رفضها لكلامه، وتأكيده أيضاً بفعل الشروع (جعل) أي: ما شرع لك ذلك، فنفت اختصاصه بنفي الزيادة، ثم عبرت باسم الإشارة (ذلك) للبعيد إشارة إلى بعد ما ذهب إليه من نفي المغالاة في المهور.

وقد استخدمت في ندائها كنية سيدنا عمر لجذب انتباهه ، والإصغاء لكلامها، ونادته به دون لقبه وهو (أمير المؤمنين) دلالة على جرأتها وعدم خوفها منه، وإن كان معه الجاه والحكم والسلطة لاعتمادها على نص صريح كان في صفها رداً على الخصم، وإن كان صنيعه مع الناس تخفيفاً عليهم بعدم المغالاة في المهور اقتداء بصنيع النبي وصحابته.

وأكدت رفضها لحديثه بـ (قد والعطف) ؛ وذلك لتناسبهما، وتعانقهما، فعطفت الجملتين في قولها: (وقد قال الله) وقوله: (أحق من قولك) للتوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية، وتستمر في تصريحها برفضها لكلامه بالإكثار من القيود فأتت (بأفعل التفضيل، والنفي ، وأفعال الشروع ، والجار

---

[١]) فوهاء : والفَوَهُ بالتحريك سَعَةُ الفمِ وعِظَمُه، والفَوَهُ أَيضاً خُروجُ الأَسنانِ من الشَّفَتينِ وطولُها فَوِهَ يَفْوَهُ فَوَهاً فهو أَفْوَهُ والأُنثى فَوْهاء، اللسان مادة (فوه).

والمجرور ، وما ، وقد ، والروابط من الواو وهاء الغيبة) وانظر إلي تكرارها لحرف (الواو) العاطفة، وتكرارها للفظ المقول ؛ ذلك لأهميته وأحقيته بالقبول، وكررت حرف (القاف) في الألفاظ خمس مرات في قولها : (قد ، قال ، قوله ، أحق – بالقبول) للدلالة علي ثقل هذا القول وقوته وقبوله .

ونجحت تلك المرأة بتكثيف القيود والمؤكدات والتكرار في قصدها من رجوع سيدنا عمر – رضي الله عنه – عن رأيه، مما يدل علي حسن فهمها للآيات، وبلاغتها في التعبير.

وهذه الجمل الطويلة منها سعت إلى التمهيد لإقناع سيدنا عمر – رضي الله عنه – والمخاطبين واستمالتهم وتشويقهم إلى ما سيأتي من كلامها بعد ذلك، عن طريق الإبهام ثم التوضيح، ثم ثنت بقوله تعالي: (وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً) فالآية التي استشهدت بها نصت على عدم جواز أخذ شيء من صداق المرأة أو الإنقاص من المهور، أو رد الزيادة عليه كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين([1]) فقد ذهب صاحب المحرر الوجيز إلى " جواز المغالاة بالمهور؛ لأن الله تعالى قد مثل بقنطار، ولا يمثل تعالى إلا بمباح "([2])

وهذه المسألة لم تغب عن ذهنه الشريف رضي الله عنه، ولعل صاحب روح المعاني([3]) قد التمس لسيدنا عمر – رضي الله عنه – العذر فيما ذهب

---

[1]) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ٢٩/٢ تح د عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط ١، ١٤٢٢هـ ، وروح المعاني للألوسي ٢٤٤/٤ .

[2]) المحرر الوجيز ٢٩/٢.

[3]) روح المعاني ٤٥٣/٢.

إليه من رفضه للمغالاة في المهور؛ وهو أنه استند على بعض الأحاديث عن الرسول – صلي الله عليه وسلم – من دعوته للتيسير في المهور حيث يقول: " قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إن من أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً"(١) ومع ذلك أذعن للمرأة وسلم بجوابها.

فبفضل قوة حجة تلك المرأة وإصابتها في القول، وبلاغتها ورجاحة عقلها وتوظيفها للحوار واقتباسها للنص القرآني، كل ذلك كان له دور كبير في إقناع سيدنا عمر رضي الله عنه.

ويعد صنيعها من أقوى الدلائل " التي يقوم عليها النص المؤثر، وأقوى الأدلة والحجج تأثيراً، وإقناعاً، وإمتاعاً، ولعل السبب في ذلك ما فيه من قوة إيحاء، وزخم عطاء، مصدرها إشعاعات الحدث الماضي على الحدث الحالي، فيمتزج الحدثان في إطار واحد من التكثيف والتأثير"(٢).

ولذلك أقر أمير المؤمنين رأيها، واعترف بالخطأ في قوله: (أيها الناس امرأة أصابت، ورجل أخطأ، ناضل أميركم فنُضِل)، فهذا القول منه أشعر بمدى تواضعه.

وكان الدافع لإقرار المخاطب بالكلام هو حسن جواب تلك المرأة وتعبيرها وقوة عقيدتها وغزارة ثقافتها، وحسن حوارها وذكاؤها وحسن اختيارها للنص القرآني المناسب لحال المخاطب، لذلك لم يكن أمام أمير المؤمنين إلا

---

١) السنن الكبرى للبيهقي٧/٣٨٤ تح د محمد عبد القادر عطا ، طبع دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ، رقم الحديث ١٤٣٥٦ ،باب ما يستحب من القصد في الصداق.

٢) الحضور البلاغي في الأجوبة المسكتة ص٣٢.

التسليم بجواب تلك المرأة، على الرغم من أنه كان يميل للتيسير ميلاً لما هو أفضل عنده، ورغبة في اتباع هدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قولاً وفعلاً لكنه عدل عن كل ذلك فلم يرد كلام المرأة القرشية من باب الترغيب في تتبع معاني القرآن واستنباط الدقائق منه، ومع ذلك لم يأمرهم بالمغالاة بل كان قصارى رأيه أنه رفع النهي عنهم، وتركهم واختيارهم بين فاضل ومفضول، ولا إثم عليهم في ارتكاب أي الأمرين شاءوا.

الجواب السابع :

ومما جاء في الرد على الخصم بلطف العبارة وتهذيبها وحسن التأتي للوصول إلى الإقناع بالحصول على العفو من الحد ما ورد أنه: " أخذ عبد الملك بعض لصوص العرب، فأمر بقطع يده، فقال الرجل:

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها بعفوك أن تلقى مكانا يشينها

ولا خير في الدنيا وكانت حبيبة إذا ما شمالي فارقتها يمينها

فأبى إلا قطعه، فدخلت إليه أمه فقالت: واحدي وكاسبي، قال: بئس الكاسب كاسبك، وهذا حد من حدود الله، قالت: يا أمير المؤمنين اجعله من الذنوب التي تستغفر الله منها، فعفا عنه "([1]) وردت هذه القصة في كتب كثيرة([2]) وهي من القصص الهادف الذي تضمن جواباً مسكتاً للمرأة وهي

---

[1]) الأجوبة المسكتة ١٧٠ ، ج (١٠١٠) والبيتان بلا نسبة في معظم المصادر التي نقلت القصة إلا أنه نسب إلى حمزة العدوي السارق في ربيع الأبرار ١/ ٨٠.

[2]) الأذكياء لابن الجوزي ٢١٨ ، مكتبة الغزالي (د–ت) ، والأحكام السلطانية للماوردي ٢٢٣/١ ، دار الحديث القاهرة (د–ت) ، والبداية والنهاية لابن كثير تح د. علي شيري ، دار إحياء التراث العربي (د–ت)، والعقد الفريد ٤٠/٢ .

تتضمن قصة إخبارية بسيطة تشير إلى حادثة معينة، يتمثل جمالها في ظرفها وخفة روايتها، وأدبها في رشاقة أسلوبها ونصاعة لغتها.

فقد سعت الأم للتهوين من ذنب ابنها بمحاولة استمالة عبدالملك بن مروان، وكسب تعاطفه نحو ابنها، ثم ثنت بعد ذلك بأساليب بلاغية تفيد اللين، والتخفيف من حدة غضبه بذكر خضوعها لقوله، فبدأت بالحوار لتهيئته للتفاعل معها، وجذب انتباهه، ثم أتت بأسلوب إنشائي وهو النداء في قولها: (يا أمير المؤمنين) للاستعطاف، وترقيق قلبه، والإضافة أفادت التعظيم .

ثم فصلت بجملة خبرية تقريرية لحث الملك علي العفو، واستجلاب تعاطفه معها في قولها: (واحدي وكاسبي) وهذا ما أفاده الفصل بين الجملتين لاختلافهما في الخبرية والإنشائية، كما أنها حذفت المسند إليه في قولها : واحدي وكاسبي، والأصل هو واحدي وكاسبي، ولعل الحذف هنا يفيد الإيجاز في الكلام والمبادرة إلى المطلوب فأرادت استمالة الملك لمطلبها بأقل العبارة وأوجزها مسارعة لنيل عطفه وعفوه، لأن كونه وحيدها وكاسبها الأوحد هو محط الاهتمام عندها، ولذا اقتصرت عليه دون ذكر المسند إليه وللعلم به .

ثم عطفت الصفات (واحدي وكاسبي) وجاءت بها على وزن اسم الفاعل للاستعطاف والاستمالة وبيان مدى احتياجها إليه .

فلما رأت أن هذه العبارات لا تستميله، وذلك ما ظهر من خلال رده: (بئس الكاسب كاسبك) وتكراره لـ (كاسب) يدل على فداحة ما اقترفه من الذنب، إذ يتعلق بحد من حدود الله، ولذلك عقب عليها بقوله : (هذا حد من حدود الله) .

فلما أدركت المرأة من عباراته مدي صعوبة الأمر، وفداحته كثفت من الأساليب الإنشائية الطلبية في كلامها للوصول إلى العفو فقالت: (يا أمير المؤمنين اجعله من الذنوب التي تستغفر الله منها) فأتت بالأمر بعد النداء؛ لأن " النداء يوقظ النفس ، ويلفت الذهن ... فإذا جاء الأمر صادف نفساً مهيأة يقظة، فيقع منها موقع الإصابة حيث تتلقاه بحس واعٍ، وذهن منتبه، وهذا دليل علي العناية بالأمر، والرغبة في إعداد النفس له"([1]) ، ولذلك جاء تعقيب القصة بقوله: (فعفا عنه).

لقد أتقنت هذه المرأة فن الحوار([2]) والمناظرة([3]) ونجحت في الحصول على العفو عن ابنها في حد من حدود الله وهو (السرقة) بينما عجز الرجل عن ذلك بالرغم من استشهاده بالأبيات الشعرية ؛ ليطفئ من حمية هذا الملك وغضبه وثورته أمام السرقة التي اقترفها، وفداحة الذنب الذي قام به، ولكن (عبد الملك بن مروان) لم يعتد بقوله، وذلك لعدم صدق العاطفة في هذين البيتين .

ثم بالغت في استعطافه، وطلب عفوه بوسائل تأثيرية بأن عبرت بـ (جعل) من بين أفعال الشروع ؛ لأنه يفيد التصيير والتحويل و(الهاء) في

---

[1]) دلالات التراكيب دراسة بلاغية د/ محمد أبو موسى ٢٥٦ ، مكتبة وهبة ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

[2]) الحوار هو : مراجعة الكلام بين المتكلمين ، ولا تلزم فيه صورة الخصومة، ينظر: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم د/ عبد الحليم حفني ص ١٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٣، ١٩٩٥م .

[3]) أصل النظر : المقابلة ... والنظير المثيل ، الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٨٧ تح / محمد باسل / طبع دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

(اجعله) راجعة إلى الذنب الذي اقترفه ابنها ولم تصرح بذنب ابنها للإبهام وليكون عدم ذكره بوصفه في طي المنسي الذي لا يذكر ليكون ذلك أقرب لعفو الملك؛ ولإرادة التهوين من شأن الذنب؛ ولترابط الكلام وتعانقه، ثم تلطفت في جوابها بالإتيان بالكناية والتعريض في كلامها؛ لخشيتها منه، فقالت: " اجعله من الذنوب.." تعريضاً، وتعريف الذنوب بـ (ال) لتدفعه إلى العفو عن ابنها بطريقة مهذبة وموجزة، وكذلك التشبيه، فقد شبهت عفو الملك عن ولدها بغير وجه حق بالذنوب التي يستغفر منها الملك، ووجه الشبه هو شدة رجاء العفو في كل.

وجاء هذا للحث على العفو والاستعطاف والاقتناع بجوابها ؛ ولذلك حصلت على إعجاب الملك بجوابها بفضل بلاغتها وحكمتها وتهذيبها وحصلت على ما تتمنى فعفا عنه، وقد حدث ذلك بفضل جوابها ونجاحها في الحصول على العفو من الملك ، وخضوعه لها.

ويعد هذا أول حد ترك في الإسلام، ولا شك أن التهاون في إقامة حد من حدود الله يعد بادرة خطيرة تؤدي إلى تفشي الفساد في أوصال المجتمع، لأنه يجرئ الأشقياء علي ارتكاب الجرائم دون خوف من عقاب([1]).

ولكن أرى أن هذه الرواية واردة عن عبدالملك على سبيل الطرفة والنادرة والأخبار الظريفة دون أن يكون لها أثر تشريعي أو ديني؛ فهذا العفو يعد مخالفاً لما ورد في كتاب الله، وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وهو قوله تعالي : "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" سورة المائدة جزء آية٣٨

[1]) ينظر : البداية والنهاية ١٣٦/٨ ، الأحكام السلطانية ٢٨٨/٢.

وقوله – صلي الله عليه وسلم – عن عائشة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا" وغيرها من الأحاديث الدالة على وجوب العقاب لمن سرق([1]).

الجواب الثامن :

يأتي جواب المرأة وردها على الخصم أحياناً عن طريق التلطف للمقصود بالكناية والتعريض والأسلوب الحكيم خشية التصريح بتحزبها المذهبي فتتعرض للمؤاخذة، فقد ورد أنه: " قيل لسوداء بالمدينة: من أنت؟ قالت: أنا مولاة([2]) لمن هو مولى([3]) لكل مسلم، تعني علياً عليه السلام "([4])

جاء جواب هذه المرأة عن طريق بداهتها وذكائها، وحيلتها فأجابت بالأسلوب الحكيم أي : خلاف ما يتوقع السائل من أجل الخوف والخشية، فهو لم يطلب منها بيان صفاتها ولكنه يريد اسمها، ولجأت إلي الكناية عن موصوف في قولها: (أنا مولاة ... إلخ)، فلم تصرح باسمها، إنما ذكرت الوصف الخاص بها؛ لأنها وجدت في الكناية متنفساً فتنقل من

---

[1]) مختصر صحيح البخاري للألباني ٤/ ٢٠٧ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م – حديث رقم ٢٥٧٧ باب قطع السارق في ربع دينار فصاعداً – باب قول الله تعالى: " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ".

[2]) مولاة : والى بين الأمرين موالاة وولاء تابع ، وتولاه : اتخذه وليا ، القاموس المحيط فصل الواو .

[3]) مولى : المالك .. والرب والناصر، القاموس المحيط فصل الواو .

[4]) الأجوبة المسكتة ١٧٢ ، ج ١٠١٧) .

المعنى المكشوف إلى المعنى المكسوف، وربما كان ذلك خشية لا ترفعاً، فتنال بأسلوب الكناية من خصمك، وتبلغ ما لا تستطيعه في غيرها "([١]) .

كما أنها أشارت إلى الإمام بالاسم الموصول (من) والضمير (هو) لترسيخ وتأكيد ولايته على عموم المسلمين، ولرد الخصم الذي يعتقد ولايته لأنصاره فقط أو اعتقاد أن أحداً غيره ولي المسلمين فجاء قولها: (لمن هو) للتأكيد على تلك الحقيقة وزادتها تأكيداً بقولها: (لكل مسلم) لدفع الريبة أو الشك أو الإنكار من خصوم الإمام أو من لا يجله ويقدره فأفادت الحكم بطريق الأولى، عن طريق الكناية وذلك من قبيل التقية .

أما البلاغة وتراكيبها في الجواب، فقد بدأت المرأة جوابها بضمير المتكلم (أنا) للتعظيم والافتخار بأنها مولاة) لسيدنا علي – رضي الله عنه – ونكرت (مولاة) من أجل المبالغة في خشيتها وخوفها، وعبرت بـ (هو) ضمير الغيبة للتحقيق والتأكيد علي كون الإمام (علي) ولي المسلمين جميعاً لا بعضهم كما هو عند الشيعة المغالين، فلا أحد غيره حقيق بذلك وعبرت بـ كل ونكرت (مسلم) لإفادة هذا العموم .

والتعبير كله كناية عن شهرته وذيوع صيته ، فتأمل كيف أتت بالكنايات المتداخلة ، ثم زادت في التلطف بالخصم، فجاءت بالتعريض ليعبر عن عقيدتها دون التصريح بها، وذلك لخوفها وخشيتها، كما أن التعريض " يفصل بين الفكرة الباطلة وصاحبها، فيقذف عليها بالحق فيدمغها دون أن يبدو فيه شئ ينم عن رغبة في إساءة مساءة لصاحبها "([٢]).

---

[١]) البلاغة فنونها وأفنانها ٢٦٧ .

[٢]) التعريض في القرآن الكريم ١٦٣ .

أو أن تزيد من كراهية خصمها، ثم زينت كل هذه بالطباق ما بين (مولاة) و(مولي) للتأكيد علي شمول ولايته ، كما أوحى بشدة خشيتها .

فجواب تلك المرأة غني بالصور البلاغية غير المباشرة ، والمؤكدات ، وتعاقب الصور البيانية ، والحوار، والإيجاز كل ذلك ساعد على التأثير على خصومها في الاقتناع بعقيدتها دون أن يمسها شر أو أذى .

ومن الملاحظ أن التعريض هو الغالب على هذه الأساليب البلاغية في جوابها ، لأنه " أمثل طرق التعبير، وأكثرها ملاءمة لهذا الموقف أن تعلن مخالفتك للآخرين في الدين والعقيدة دون أن تستثير حفيظتهم، أو تستفز خصومتهم، أو تشعل عداوتهم، وهو خير طريق لتجسيد هذا الشعار (لكم دينكم ولي دين) سورة الكافرون الآية ٦ "([1]).

الجواب التاسع :

ومما جاء من جواب المرأة في رد الخصم عن طريق التلطف للمقصود بالكناية والتعريض خشية التصريح بانتمائها العقدي والمذهبي ما ورد أنه: " دخلت امرأة من الخوارج([2]) إلى عبيد بن زياد([3]) فلم تنظر إليه، فقيل لها: لمَ لمْ تنظري إليه؟ قالت: كرهت أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه"([4]).

---

[1]) التعريض في القرآن الكريم ١٦٠ .

[2]) الخوارج هم : جماعة كثيرة منسوبة إلى الإمام .. صاحب المذهب (زيد بن علي) بن الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – ... وهم أول خوارج غلوا غير أنهم يرون الخروج مع كل خارج ، ينظر: تاج العروس مادة (خرج) .

[3]) هو : عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان ، ينظر: التاريخ الكبير رسالة للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ٣٨١/٥ ، دار المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن (د–ت) .

[4]) الأجوبة المسكتة ١٧٦ ، ج ١٠٤٥.

تعجب السائل من إعراض المرأة الخارجية عن النظر إلى عبيد بن زياد قائلاً : (لم لم تنظري إليه) أي: ما السبب في عدم نظرك إلى عبيد بن زياد؟ فهو مستنكر لهذا التصرف متعجب منه، لكنها أجابت بقناعتها العقدية التي تؤيد تعبيرها الجسدي الإشاري حيث أعرضت عن النظر إليه كناية عن رفضها لمذهبه وعقيدته وأجابت إجابة هي مصداق قوله تعالي : {وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: ٧٧] فغير الخوارج – بذلك – محرومون من نظر الله وكلامه لهم.

وقد لاحظت المرأة أن التعريض والكناية من أقوى الأساليب المؤثرة في إقناع الآخر عند المخالفة خوفاً من العقاب؛ لأن التعريض هو أمثل طرق التعبير، وأكثرها ملاءمة لهذا الموقف فقد كرهت أن تعلن عن مذهبها صراحة فتعلن مخالفتها للآخرين في الدين والعقيدة فتستثير حفيظتهم، وتستفز خصومتهم، وتشعل عداوتهم، فهي ببلاغتها وحكمتها استطاعت أن تحمي نفسها من العقاب دون التصريح بعقيدتها، ولكنها بحنكتها واستدلالها أسكتت الخصم فلم يجب.

وهي وإن استطاعت أن تفحم الخصم وترده وتسكته إلا أنها فاسدة العقيدة تظهر خلاف ما تبطن من فكر الخوارج المذموم، فقد أدخلت عبيد بن زياد في جملة المطرودين من رحمة الله، وهو تجاوز منها في حقه.

الجواب العاشر :

ومما جاء من جواب المرأة المسكت وتعجيزها للخصم من خلال الأسلوب الحكيم ما ورد أنه: " مر رجل بالمدينة فزحمته امرأة؛ فقال لها: الطريقَ الطريقَ ما أكثركن! فقالت: نحن كثير، وأنتم تلوطون فلو كنا قليلا ما كنتم تعملون "([1]).

ومن الطريف أنه خاطبها وهي واحدة – مخاطبة الجمع فقال: ما أكثركن! وهو على عادة العرب في مخاطبة الواحد بالجمع زيادة في المبالغة فكأنه يلومها ويلوم بني جنسها من النساء في ثوب امرأة واحدة – لتعديها عليه بالمزاحمة له، فأجابته إجابة غير متوقعة، وهي التحايل عليه بالمخادعة عن طريق الأسلوب الحكيم، والمفاجأة بجمل خبرية قصيرة وموجزة.

واستخدمت المرأة هنا أسلوباً رائقاً في الرد على الخصم حيث قامت بمجاراته على زعمه فقالت: (نحن كثير) ولكنها أتت بجملة حالية أبطلت استنكاره لكثرتهن وهي (وأنتم تلوطون) أرادت أن تقول: نعم إننا كثيرات والحال أنكم مداومون على فعل قوم لوط، فما بالكم وحالكم إذا كنا قليلاً فما هو حالكم؟ كيف تعيشون بلا نساء وتستغنون عنهن مع شدة الحاجة لهن؛ وذلك لتوضيح فكرتها، وتقرير الحقائق، وإزالة الشك فيها في قولها : (نحن كثير وأنتم تلوطون، فلو كنا قليلا ما كنتم تعملون) فبدأت بجملة اسمية للتأكيد على عظم جرمهم الذي يرتكبونه، واستغنائهم عن الحلال

---

[1]) الأجوبة المسكتة ١٧٧ ، ج ١٠٤٩ .

بالحرام، وهو (اللواط)([1]) ومداومتهم علي ذلك، ومدي استقباحها له، والطباق بين (نحن ، وأنتم) كل ذلك أفاد التأكيد علي إقناعه بخطئه، ورده عن التطاول عليها وسط العامة.

ثم عبرت بالفعل المضارع (تلوطون) جمعاً، وذلك لاستحضار الصورة للتنفير من ذلك الفعل، وجمعته للإشارة إلي انتشار تلك الصفة في المخاطبين، وشهرتها بينهم .

ثم جاءت بجملة شرطية مؤكدة بـ (الواو) والجواب في قولها: (فلو كنا قليلاً ما كنتم تعملون) ولك لترده عن خطئه، والرجوع عن ذلك الفعل؛ وهي تمدح كثرة النساء بهذا الشرط ، و(لو) تدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط فهم كثير لكن كثرتهم نافعة، لكن انحراف طباع الرجال حادث بالرغم من ذلك، والشرط والجواب أفاد التعليق أي تعلق الشرط بالجواب، وتعلقه بالجملة التي قبله، فهي تربط الكلام بعضه ببعض ونجد أنها كررت الفعل (كان) مرتين في قولها (كنا وكنتم)؛ ليدل على رفضها، وتشنيعها لذلك الفعل الذي يقومون به، فيرتدع المخاطب، فيرجع عن خطئه، ويقلع عن ذلك الفعل.

[1]) اللواط هو : إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم قطعاً، ينظر: شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل لأبي حامد الغزالي الطوسي تح د/حمد الكبيسي،ص٦٣ مطبعة الإرشاد– بغداد، ط١ ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م.

وعبرت بـ (كان)؛ وذلك لدقتها في اختيار ألفاظها، فلم تعبر بباقي أخواتها (أصبح، وصار ... إلخ) لأن (كان) ؛ لما انقطع ، وأصبح وأخواتها لما لا ينقطع "([1]).

فهي تريد بذلك أن ينقطعوا عن فعل هذا المحرم، وجاءت بـ (الفاء) في قولها: (فلو) فأفادت المسببية أي : أنتم تلوطون بسبب قلتنا، فهي تستغرب استمرارهم على فعل ذلك الفعل ، وهذا يدل على حسن فهمها للآيات القرآنية وتدبرها لها .

وإضافة إلي إرادة المرأة من الرجل وأمثاله أن ينقطعوا عن اللواط، يأتي السبب الأساسي في ردها الجريء وهو إفحام الخصم وإقامة الحجة عليه.

وجاءت بالسجع والموازنة بين الجملتين في قولها: (تلوطون) و (تعلمون) للتأثير على وجدان المخاطب باستمالته بالتناغم الموسيقي إلى الإقلاع عن ذلك الفعل، فما كان من المخاطب إلا أن فكر في حاله وأدرك خطأ تسرعه وتعرضه لهذه المرأة بقوله لها: (الطريق الطريق ما أكثركن).

ولعل في ردها جرأة فيها كثير من الغلو والفحش في القول، فهو لم ينتهك عرضها أو يتحرش بها وليست على يقين من ارتكابه للواط ، ففي تصريحها بأنه وقومه من أهل اللواط حقيقة تزيُّد في القول وفحش لا يقع من امرأة مصونة .

---

[1]) الكليات للكفوي تح د/ عدنان الدرويش ،ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (د-ت) فصل (الكاف).

الجواب الحادي عشر :

ومن جواب المرأة للرد على الخصم وإسكاته عن طريق الاستدلال بالثقافة الدينية ما ورد أنه: " تقدمت امرأة مع زوجها إلى ابن أبي بردة([١]) ليتحاكما إليه، ففرق بينهما، فقالت المرأة يا آل أبي موسى([٢])، ما خلقكم الله إلا للتفريق بين الناس "([٣]).

أنكرت المرأة هنا ما حدث من هذا القاضي الذي يدعى (ابن أبي بردة) الذي حكم بينها وبين زوجها ففرق بينهما، فما كان من المرأة إلا أن بدأت جوابها بأسلوب إنشائي وهو النداء في قولها : (يا آل أبي موسى) ، تقصد بذلك آل أبي موسى الأشعري وما حدث من فرقة بعد لجوء علي ومعاوية رضي الله عنهما إليه للتحكيم بينهما، فهي تشير إلى ذلك، ولعلها كانت ممن يرفضون التحكيم أيضاً، ففي هذا النداء تعريض بالقاضي وذم له، وقد عبرت بـ (الكل) (آل أبي موسى) وأرادت الجزء وهو (القاضي) للمجاز المرسل الذي علاقته الكلية، والإضافة في (أبي موسى) أفادت عموم صنيعهم في القضاء واتفاقهم عليه، وغلبة ذلك عليهم، ثم أكدت كلامها أيضاً بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء في قولها: (ما خلقكم إلا للتفريق

---

[١]) يروى عن ابن أبي بردة والحسن أحاديث منكرة، قال الأزدي: هو متروك الحديث ، ينظر: الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي تح د/ عبد الله القاضي ١١٥/١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤٠٦هـ .

[٢]) نقل البلاذري: " لا تولين أحداً من آل أبي موسى الأشعري شيئاً من العمل ، ولاسيما بليل " ينظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري تح د/ سهيل زكار ، ورياض الزركلي ١٧٣/٨ ، دار الفكر – بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

[٣]) الأجوبة المسكتة ١٧٩، ج ١٠٥٨ .

بين الناس)؛ وذلك للتأكيد على رفض حكومتهم، وهو قصر موصوف علي صفة، فقد قصر التفريق عليهم، واختصهم به.

ولا يخفى ما في القصر هنا من مبالغة في ذم آل أبي موسى وكأن الله لم يخلقهم إلا للتفريق بين الناس فنزعت بالقصر كل وصف حسن يحمدون عليه، وهذا ما فطنت إليه المرأة واستوعبته وفهمته فهماً صحيحاً، واستطاعت بحسن ذكائها أن تحكم بعدم صلاحية هذا القاضي في الحكم بين الزوجين،

وانظر إلى دقتها في اختيار ألفاظها المؤثرة والمعبرة عن شدة سخطها وغضبها من هذا القاضي، حيث عبرت بـ (التفريق) بدلاً من (الفصل) مثلاً؛ وذلك لأن (فرق) يفيد أنه " بين مجتمعين فصاعداً ...والتفريق: جعل الشيء مفارقاً لغيره حتي كأنه جعل بينها فرقاً حتى تباينا "([1]) فأفاد التشتت بينما (فصل) يكون في جملة واحدة([2]).

فهذا الجواب المسكت للمرأة كان موجزاً؛ ومركزاً لإيصال الكثير من المعاني المتداخلة، والمتشعبة داخل النص، والذي يدعو القارئ إلى اكتشاف تلك المعاني بنفسه، فيقطف منها أجمل الثمار، وأنفس العبارات .

---

[1]) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ١٥١/١ ، حققه د/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة مصر (د–ت) .

[2]) المرجع السابق ١٤٩/١.

الجواب الثاني عشر :

ومما جاء من جواب المرأة المسكت لرد الخصم بسبب معرفتها بأحواله، ومواطن ضعفه ما ورد أنه: " قال رجل لقينة: أشتهي أن أقتلك قالت: ولِمَ؟ قال: لأنك زانية، قالت: وكل زانية تقتل؟ قال: نعم ، قالت: فابدأ بمن تعول"([١]).

ورد الخبر هنا مبنياً على الحوار، فبدأ الرجل كلامه بخطاب القينة([٢]) بقوله: (أشتهي أن أقتلك) وهي عبارات مجون وفسق تجري بين أهل اللهو والسمر، فأجابته بسؤال موجز مختصر وهو قولها: (لم) المفيد للدهشة والاستغراب وأثار كلامه غضبها فاستفهمت هذا الاستفهام التعجبي، فأجابها إجابة أشد بقوله: (لأنك زانية) فزاد استغراب (القينة) من قول هذا الرجل الذي أخبرها بأنها زانية، ففكرت في حيلة ترد بها دعواه وتفحمه بها فأخذت زمام الحديث وبادرته بقولها: (وكل زانية تقتل؟)، والتقدير: هل كل زانية تقتل؟ ولعل في جوابها شيء من الصحة، إذ إطلاق الحكم علي كل من وقعت في الفاحشة ليس بدقيق؛ إذ قد تكون مكرهة أو غير محصنة فلا يلزم قتلها بل إنها تبرأ في الإكراه وتجلد مائة جلدة في عدم الإحصان، ولا يقع الحد وتلزم العقوبة للزنا إلا بعد شهادة أربعة عدول أو إقرار، وكل ذلك ينفي قول الرجل الذي جاء بلا حجة أو دليل دامغ.

ولا يخفى ما في قولها: (ولم) وذلك الاستفهام الذي أفاد التعجيب من إرادة القتل بلا سبب وتهمة وما فيه من إيجاز بليغ أغني ذكره عن الإطالة بذكر

---

[١]) الأجوبة المسكتة ١٧٦ ، ج ١٠٤٣.

[٢]) القينة : الأمة المغنية، القاموس المحيط فصل القاف والياء والنون .

(ولم تشتهي قتلي؟) وسره دلالة الخطاب عليه في قوله: أشتهي قتلك، فتنزهاً عن العبث واختصاراً في الكلام جاءت بالاستفهام موجزاً يحمل معنى الدهشة والعجب للدلالة على نفي العموم، وإنكار قوله، وهذا ما أفاده (كل) ، وتنكير (زانية) وبناء الفعل للمجهول (تقتل) أيضا كلها أفادت المبالغة في نفي كلامه ، فأجابها بـ (نعم) فلما رأت استمرار الخصم على التمسك بدعوته، وعدم تراجعه عن ذلك من خلال محاورته فلجأت إلى أسلوب إنشائي آخر وهو الأمر في قولها: (فابدأ) ؛ لتثأر لكرامتها، فقلبت الكلام وردت الحكم عليه، والجار والمجرور في قولها: (بمن) لإفادة التخصيص وعبرت بالمضارع (تعول) لاستحضار الصورة، ثم أكدت علي توبيخه وذمه والتنفير وتشنيع ما أتوا به بأسلوب مهذب وهو : الكناية التعريضية عما اقترفه في قولها : (فابدأ بمن تعول) واسم الموصول (من) في قولها بمن تعول التعميم لكل من تشمله نفقة الرجل المخاصم فشمل الأم والزوجة والبنات إذا كانوا جميعاً في ظل نفقته وتفيد الزوجة والبنات في الغالب إذ هم أهل بيته المقصودين.

وقولها: (من تعول) تعم الجميع على الإطلاق؛ فإن ولده ولد زنا وأمه وزوجه وبناته كذلك، وفي هذا مبالغة في الذم والإهانة .

ولا شك أنها لجأت إلى التعريض للإنصاف " فليس كالتعريض مسعفاً حين يكون بين المخاطِب والمخاطَب ما يوجب استحياء المخاطَب، أو احتشامه، وتحرجه من التصريح أمام من يخاطبه .... إما لفرط بعد وفضل تهيب"([1])

([1]) التعريض في القرآن الكريم ١٧٠.

فهذه القينة حكم عليها بالغلبة والإنصاف بفضل تدرجها مع الخصم في دحض فكرته ، ومن تنويعها في الاعتماد على الأساليب البلاغية المتنوعة، وخاصة أنها كثفت من الأساليب الإنشائية المتعاقبة لشعورها بالإهانة والتحقير، فأقنعته بخطأ فكرته، ودحضتها بالأسلوب المهذب لكي يرتدع عن قوله هذا.

وزينت وأكدت كل ذلك بالاقتباس من الحديث في قولها: (فابدأ بمن تعول) لإزالة الشك عنها والطعن فيها؛ فإنه مقتبس من قوله – صلى الله عليه وسلم – : " حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن حاكم ... رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أفضل الصدقة أو خير الصدقة عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول " ([1]) وقلب الحكم عليه لكي يرتدع.

الجواب الثالث عشر :

ومما جاء من جواب المرأة لرد الخصم لمعرفتها بظروفه الاجتماعية، وامتلاكها سلاح البلاغة لتثار به لكرامتها ما ورد أنه: " قال ابن

[1]) صحيح مسلم ٧١٧/٢ تح د/ محمد فؤاد عبد الباقي الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت (د–ت) رقم الحديث ١٠٣٤ ، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلي ، وأن العليا المنفقة وأن السفلى هي الآخذة .

الأحنف([1]) لجارية أبيه: يا زانية، قالت: لو كنت فاعلة أتيت أباك بمثلك"([2]).

استعانت هذه الجارية بمعرفتها بالظروف الاجتماعية للخصم، ومواطن ضعفه ، للثأر لكرامتها، والرد على تحقيرها وإهانتها، واستخدمت قوة بلاغتها أيضاً وبداهتها وسرعة ردها، فهي مناظرة بين شخصين يعرف أحدهما الآخر ويسكنان في مكان واحد.

وقد بدأ ابن الأحنف هذه الجارية بالنداء بحرف (يا) في قوله لها: (يا زانية) ؛ يريد سبها وشتمها وإلصاق التهمة بها، فأثار هذا الأسلوب حفيظتها وغضبها فأجابته إجابة قوية قلبت الحكم عليه بلطف وتهذيب، فأتت بالشرط (لو) المفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط ، للتدليل على أنها شريفة، والتقييد بـ (الشرط ، وكان) للتأكيد على نقائها ، وشرفها ، وعفتها، ونفي هذا الادعاء بكونها زانية، والاقتناع بشرفها، ثم أتت بالتشبيه لتوضيح فكرتها، لأنها وجدت في التشبيه متنفساً لها تخفي به مرارة الضيم، ولوعة الأسى ، وألم الهزيمة.

ثم جاءت بـ (مثل) لإفادتها " إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه "([3]) وعبرت بـ (مثل) ، لأن (المثلين : ما تكافآ في الذات)([4]) .

---

[1]) هو (بحر بن الأحنف) ينظر: عيون الأخبار (٢/ ٢٣٣) ، طبع دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٨هـ.

[2]) الأجوبة المسكتة ١٧٥ ، ج ١٠٣٦ .

[3]) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ٢/ ٢ ، دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

[4]) الفروق اللغوية ١/١٥٥.

وشبهت بطلان اتهامها بالزنا بانتفاء وجود ولد مثيل لابن لأحنف بجامع الامتناع والعدم في كل، فكما أنها ليست بزانية فهي لم تنجب مثله، ولو كانت كذلك لأنجبت مثله هو أو إخوته، وهذا كالدليل والبرهان على نقاء ساحتها وانتفاء شبهة الزنا عنها .

ثم تلطفت به أيضاً بالتعريض([١]) بكونه ابن زنا، وذلك لعدم إحراجه، فبلغت به ما تريد، فـ "العرب تستعمل التعريض في كلامها، فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح ، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل وجه "([٢]) .

وقولها: (لو كنت فاعلة أتيت أباك بمثلك) احتجاج فيه إيجاز حذف، والتقدير: لو كنت فاعلة الزنا فلم تصرح به لعفتها وتنزهها عن النطق بفاحش القول على عادة استخدام العرب من طيهم لفاحش القول في كلامهم.

كما أنها حذفت اللام من جواب الشرط فلم تقل: (لأتيت أباك) باللام المؤكدة للمعنى، وسر ذلك هو وضوح براءتها، ونقاء ساحتها من الخنا والزنا بما لا يحتاج لكثير الأدلة وشواهد العفة.

---

[١]) التعريض هو : ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح ، ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي٤/ ٧٩٤ تح د/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

[٢]) الكناية والتعريض للثعالبي ٧٥ ، ٧٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .

و(لو) هنا تتضمن استدراجاً للمخاطب حتى يقر لها بما عرضته، وهو طهارة جانبها وتنزهها عن الفحش، وعرضت الأمر كله على سبيل الاستدلال المنطقي .

الجواب الرابع عشر :

ومما جاء من جواب المرأة بأوجز عبارة في رد الخصم عن طريق المغالطة الكلامية ما ورد أنه: " قالت امرأة من عمان(١) لامرأة من هذيل(٢): كيف أهلَك؟ قالت: صلباً "(٣).

قالت العمانية للهذلية: كيف أهلَك؟ بفتح اللام فأجابتها الهذلية فقالت: صلباً(٤)، أي تهلكين صلباً، وهو نوع من القتل، يشد فيه الميت على خشبة مرتفعة، فالعمانية أرادت السؤال عن أهل الهذلية وعيالها، لكنها لحنت في السؤال لضعف لغتها وقلة فصاحتها، فما كان من الهذلية إلا أن تستخدم الأسلوب الحكيم في جوابها، وأجابتها على قدر فهمها إجابة

---

١) عمان هي : بضم أوله ، وتخفيف ثانيه ، وآخره نون اسم كورة عربية علي ساحل بحر اليمن والهند ، وعمان في الإقليم الأول، طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها تسع عشرة درجة ... وتشتمل علي بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرها يضرب به المثل، ينظر: معجم البلدان ١٥٠/٤ .

٢) هذيل : من قبائل الحجاز المهمة تنقسم إلي قسمين : شمالي وجنوبي ، وتقع ديار هذيل الشمالي في أطراف مكة من جهة الشرق والجنوب وبالأخص في أطراف مكة والطائف بقرب جبل بدر، ينظر: معجم القبائل القديمة والحديثة ١٢١٣/٣.

٣) الأجوبة المسكتة ١٧٤ ، ج ١٠٣٣.

٤) والصَّلْبُ هذه القِتْلة المعروفة مشتق من ذلك لأَن وَدَكه وصديده يَسِيل منه إذا صلب، لسان العرب مادة (صلب).

مفحمة ومسكتة بحيث لم تتعد الكلمة الواحدة، ويعد هذا من الأسلوب الحكيم المفاجئ وغير المتوقع، فهي لم تحسن السؤال فتم الإعراض عن الجواب، وتمت الإجابة بما هو أليق بحالها بكلمة قصيرة موجزة، فقد حذفت فعل الهلاك من جملة الجواب لينصرف الذهن إلى أنها تجيب عن سؤالها في الظاهر وهو ما لم يحدث، وقد أجادت المرأة في هذا الحذف؛ يقول الإمام عبد القاهر: " ما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترك إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به"([١]).

والإيجاز والاختصار من خصائص الجواب المسكت، وهو يتضمن هنا إشارة إلى غباء المخاطب وقلة ذكائه، حتى أنه لا يحسن السؤال فلا يستحق إلا هذا الجواب.

الجواب الخامس عشر :

ومما جاء من جواب المرأة المسكت لتعجيز الخصم بفصاحتها، وبلاغتها، وذكائها ، ودهائها ، ما ورد أنه: " قال ذو الرمة:([٢]) قاتل الله أم فلان ما

---

[١]) كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ١٢٥ .

[٢]) هو : غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي من مصر ، أبو الحارث ذو الرمة، شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره ، قال أبو عمرو بن العلاء : فتح الشعر بامري القيس ، وختم بذي الرمة ... توفي بأصبهان وقيل بالبادية، ينظر: الأعلام ١٢٤/٥ .

أفصحها، قلت لها: كيف كان المطر عندكم؟ فقالت: غيثاً ما شينا([1])"([2])

سيطر على ذي الرمة الإعجاب بتلك المرأة الفصيحة البليغة حتى توالت صيغ الإعجاب في كلامه ممهداً للقارئ لإقناعه بكلامه، ثم بدأ في بيان جهة إعجابه، وتفاعله بكلامها التعجيزي حين سألها: (كيف كان المطر عندكم؟) فاستهل كلامه بالاستفهام عن حال المطر، فردت عليه بإيجاز قائلة: (غيثا ما شينا) فاستهلت كلامها بذكر المفعول الذي حذف فعله وفاعله؛ لبيان أهميته والعناية به، فقد أفاد حذف الفعل والفاعل(أغاثنا الله) المسارعة إلى ذكر المطلوب لبيان فرحتهم بهذا الغيث، وشدة احتياجهم إليه، وتنكير (غيثاً) لتعظيمه، ثم جاءت (ما) الظرفية للمبالغة في تفخيم ذلك المطر، ورحمته بهم، وبيان غزارته بنزوله في أي مكان شاءوا، بالليل أو في النهار.

---

[1]) هكذا نقلها ابن أبي عون (شينا) ولكنها وردت برواية (شئنا) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس ٢١٢/١ ، ونقلها ابن أبي عون بالتسهيل للهمزة لأن بعض الصرفيين يجوزون تسهيل الهمزة، وربما فعل ذلك لأن فيها " نوعاً من الاستحسان لثقلها ، وهي لغة قريش وأكثر أهل الحجاز " ينظر: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي د/ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق ٢٤/١، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م. ورويت أيضاً (غثنا) بدلاً من غيثا، أي أصابنا الغيث، ينظر: البيان والتبيين للجاحظ تح د/ عبد السلام هارون ١٩٩/١ ، دار المعارف ، ط١ (د–ت) ، وشرح ديوان المتنبي للعكبري تح د/ مصطفي السقا وآخرون ٢٩٩/١ ، دار المعرفة – بيروت ، (د–ت)

[2]) الأجوبة المسكتة ١٦٧ ، ج ٩٩٥ .

والتعبير كله كناية عن غزارة المطر وتدفقه، ولاحظ المبالغة في كلامها حيث بالغت بنزول المطر بصفة دائمة لا ينقطع سواء ليلاً أو نهاراً، وهو ما أفاده انتشار حرف الألف في (غيثا – ما شينا) ليدل على امتداده وتتابعه، وسرعة اندفاعه "وإن كان مطر الليل أحمد عند العرب من مطر النهار"([1]).

وتأتي دقتها اللغوية في اختيارها للألفاظ حيث عبرت بـ (الغيث) بدلاً من (المطر)؛ لأن الغيث يوحي بالخير ، لما ورد: "قال سفيان بن عينية: ما يسمي الله المطر في القرآن إلا عذاباً ، وتسميه العرب الغيث " ([2]).

وأفاد قولها: (ما شينا) المبالغة في التحكم في المطر وجعله غزيراً مغيثاً في المكان المراد، وفي الوقت المناسب، قال تعالى: " وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته " سورة الشوري آية ٢٨ . فالغيث والرحمة بيد الله وحده، ولكن المرأة بالغت في ردها لبيان حاجتها ومطلوبها بجواب فيه من حسن البيان والبراعة ما جلب محبة ذي الرمة له وإعجابه به.

---

[1]) الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي د/ بهيج مجيد القنطار ٣٠ ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

[2]) معترك الأقران ٤٥٨/٣.

الجواب السادس عشر :

ومما ورد من جواب المرأة المسكت لتعجيز الخصم بذكائها ، وبداهتها ، وثقافتها ما ورد أنه: " قال ابن السماك([1]) لجارية كانت له: لمَ لا تقعدين خلف مجلسي فتسمعي كلامي ومواعظي؟ فصارت إلى مجلسه، فلما انقضى، قال لها : كيف سمعت؟ قالت : سمعت كل شيء حسن، غير أني رأيتك تكرر الكلام وتعيده، قال أعيده ليفهمه من لا يفهمه، فقالت: فإلى أن يفهمه الغبي قد ثقل على سمع الذكي "([2]).

ينم جواب تلك المرأة عن خبرة لغوية وإدراك بلاغي وتذوق لمواطن الكلام ومواقعه، فقد أدركت ثقل تكرار المعنى الواحد دون التنويع فيه، فهذا يشعر بالملل، وعدم الانسجام، فلما تعجب (ابن السماك) مستفهماً عن سبب ابتعاد تلك الجارية عن مجلسه، واستجابتها لدعوته بالجلوس خلف مجلسه، فيسألها مرة أخرى عن رأيها في كلامه؛ فأجابته بذكاء حاد ينبئ عن فهمها البلاغي؛ وسرعة بديهتها بجملة خبرية تقريرية حقيقية، وهي أنها (سمعت كل شيء حسن) فحكمت بالحسن لكل ما سمعته؛ وذلك لأنها عبرت بـ (كل)، ونكرت (شيء) فأفاد العموم، لكنها استثنت من حسن كلامه تكراره للكلام، وإعادته بلا مغزى ولا فائدة (غير أني رأيتك تكرر الكلام وتعيده)، فأجابها بأنه يعيده ليفهمه من لم يفهمه، فأجابته إجابة مسكتة تتضمن علة كراهتها للتكرار قائلة: (فإلى أن يفهمه الغبي قد ثقل

---

[1]) هو : عثمان بن أحمد بن عبيد الله بن يزيد أبو عمرو الدقاق ابن السماك، وبها وفاته كان ثقة ثبتاً ، كتب مصنفات الكُتَّاب بخطه، ومن كتبه الديباج ، والأماني، ووفيات الشيوخ، ينظر: الأعلام ٢٠٢/٤.

[2]) الأجوبة المسكتة ١٧٨ ، ج ١٠٥٤.

على سمع الذكي) فعيب التكرار هو أنه لم يراع الفروق التي بين المستمعين لكلامه، مما بعث في النفوس الملل؛ لأن من " أبدع صور الجمال التنويع فيه، والتنقل من لون إلى آخر، أما ثبات الصورة الواحدة وتكرارها في كل الأوقات فهو أمر ممل للنفوس مهما كانت هذه الصورة جميلة"([١]).

فهي لم تقتنع بتبريره بل ردت عليه بإجابة قوية تضمن بها التأثير في وجدان السامع بأن صدرت كلامها بـ (الفاء) الدالة على السببية، و(إلى) التي تفيد انتهاء الغاية، وأكدت كلامها بـ (قد) ، والفعل الماضي (ثقل) للتأكيد علي سرعة فهمها؛ وشدة ذكائها ، وأن التكرار لا يصلح لمثلها.

وقد أشعرت (على) بثقل الكلام عليها بتكراره وتضررها منه، وقد ساعد السجع المتوازن ما بين (الغبي، والذكي) على التأثير في الكلام، .

وفي قولها اتصال بين الجملتين في اللفظ والمعنى لشدة الترابط بينهما لتوقف وتعلق الثانية بالأولى، والمعنى مأخوذ من تأويل (أن) المصدرية وما دخلت عليه وتقديره (فإلى الوصول لفهم الغبي يثقل التكرار على الذكي ويسأم منه، هذا بالإضافة إلى الطباق بين (يفهمه الغبي ، وقد ثقل علي الذكي، فقد أفرزت الطباق صورة ذهنية توحي بسآمة الكلام على قلب الذكي لتكراره بدون ضرورة ملحة بالنسبة لفهم العاقل الذكي .

وهكذا وظفت المرأة الأساليب البلاغية في تقبيح التكرار بلا فائدة، وتمسكها بوجوب تجريد الكلام منه دفعاً للسأم ، مما جعلت المخاطب يقر لها بذلك فيسكت ويقتنع بكلامها.

---

[١]) البلاغة العربية للميداني ٢٤.

الجواب السابع عشر:

ومما جاء من رد الخصم وتعجيزه بالإقناع بالحوار والدليل ما ورد أنه: " قيل لهند بنت الحسن من أعظم الناس في عينيك؟ قالت: من كانت لي إليه حاجة"([1])

وهذا الخبر وارد على سبيل السؤال والجواب، فهو مناظرة بين اثنين، فالسائل مستفهم يريد أن يعلم من أعظم الناس في عين هذه المرأة، فأجابته إجابة موجزة، مقنعة، تنم عن ذكاء وفطنة، فلا أعظم في عينيها من شخص دعاها الزمن إلى الاحتياج إليه والوقوف ببابه، (من كانت لي إليه حاجة) وتقديم المتعلق (إليه) أفاد الاختصاص بهذا التعظيم ولا أعظم ممن يُحتاج إليه، ونكرت (حاجة) للعموم، والمبالغة في بيان شدة احتياجها وفقرها، فيشمل جميع أنواع الحاجات، وفي ذلك توكيد للجواب؛ " لأن من شأن المادح والمفتخر أن يُلقي الخبر مؤكداً كما امتلأت به نفسه، وأن يمنع السامعين من الشك فيه والارتياب " ([2]).

وهذا ما أكده التعريض أيضاً؛ فالسائل أراد استجلاب إقرار المرأة بكونه أعظم الناس في عينيها، ولكنها أعرضت عن كلامه وأطلقت حكمها لتشمل كل صاحب عون وإغاثة لها، فهو أعظم الناس عندها فلم تعين أحداً وكأنها عرضت به.

---

[1]) الأجوبة المسكتة ١٦٩ ، ج ١٠٠٥.

[2]) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني د/ بسيوني فيود ١٥٨، ١٥٩.

ونجد أنها برعت في الجواب؛ لأنها تريد أن تؤكد على مدح وتعظيم من كانت تلك صفته فلا أعظم في عيني الإنسان من رجل دفعه الزمان إلى سؤاله والوقوف ببابه والاحتياج إليه.

الجواب الثامن عشر :

ومن جواب المرأة المسكت في الرد على الخصم عن طريق التلطف به ما ورد أنه " أرسل المأمون إلى شكلة أم إبراهيم([١]) يتوعدها في أمر إبراهيم، فأرسلت إليه: إني من أمهاتك، فإن كان ابني عصى الله فيك، فلا تعصه فيَّ "([٢]) .

سمعت تلك المرأة بتوعد ابنها إبراهيم من قبل المأمون فسارعت بإرسال رسول طالبة العفو منه، فنجحت باستخدامها للجمل الخبرية المتوالية المقترنة بـ (إن) لتقرر حقائق كانت غائبة عن المأمون، تلهيه بها عن وعيده لابنها وتذكره بقرابتها له وأنها من أمهاته، لتهيئه لقبول كلامها، وجمعت (أمهاتك) للتعظيم، وإشعاره بضرورة مؤازرتها في موقفها وضرورة تعاطفه معها ، بإثارة عاطفة الأمومة فيه، ولذلك أسرعت بالتعقيب بـ (الفاء) في (فإن) وجاءت بجملة الشرط والجواب في قولها : (فإن كان ابني قد عصي الله فيك فلا تعصه في) سعياً منها إلى تأكيد التلازم وشدة

---

[١]) هو : إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له: ابن شكلة الأميرة ، أخو هارون الرشيد ، ولد في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق ثم عزله عنها بعد سنتين ... كان حاذقاً بصنعة الغناء، وأمه جارية اسمها (شكلة) نسبه إليها خصومه، مات بسرمن رأى ، وصلى عليه المعتصم، ينظر: الأعلام ٥٩/١ ، ٦٠ .

[٢]) الأجوبة المسكتة ١٧٦ ، ١٠٤٦ .

التعلق بينهما، والتعلق كتعلق السبب بالمسبب مما جعله يتراجع عن توعده لابنها، ثم جاء الطباق بين حرفين وتكراره في قولها : (فيك ، في) لتقوية المعنى ولإثارة تعاطفه .

ثم جاء الجناس الاشتقاقي في (عصي، وتعصه) للمسارعة إلى العفو ، والحصول على الشفاعة.

ولا شك أن قصد الجمل التي أتت بها ترمي إلى قبوله لكلامها ، فيتحقق لها ما أرادت بكل سهولة ويسر وبذلك نجحت بفضل قوة جوابها، وحسن استدلالها بالتأثير على عاطفة الخصم بحشد الأساليب البلاغية في كلامها، وحسن اختيارها لها، وحسن توظيفها لها، مما أضعف الخصم وأفحمه، وبدا حسن توظيفها للألفاظ في الجواب، حيث عبرت بكلمتين ضمنتا لها الحصول على العفو عن ابنها، وهما " تعصه ، وأمهاتك " استناداً علي معناهما في اللغة المفاد للضم والاجتماع ، ونبذ الفرقة والتباعد ،فـ(عصي) : العين والصاد والحرف المعتل أصلان صحيحان إلا أنهما متباينان يدل أحدهما على الجمع، ويدل الآخر على الفرقة ، والأصل الآخر العصيان والمعصية ([1]) بينما (الأم) لغة: " الهمزة والميم أصل واحد يتفرع منه أربعة أبواب، وهي الأصل، والمرجع، والجماعة، والدين ... وتقول العرب: لا أم له في المدح والذم جميعا .... وفلانة تؤم فلاناً أي: تكون له أماً تغذوه وتربيه ... وكل شيء يضم إليه ما سواه مما يليه، فإن العرب تسمي ذلك الشيء أماً " ([2]) .

---

[1]) مقاييس اللغة مادة (عصى) .

[2]) مقاييس اللغة مادة (أمم) .

ولعل في الكلمتين (فلا تعصه في) و (من أمهاتك) ملمحاً آخر هو أن عدم عفو المأمون عن ولدها إبراهيم يعد عقوقاً لأن عصيان الله يتحقق بمساءة الأم وإدخال الحزن عليها، كما أن ولدها يعتبر – حسب كلامها – أخاً للمأمون فلا ينبغي الإساءة إليه من جهتين: أولهما إدخال الحزن على الأم، وثانيهما الإساءة للأخ، وقولها: " من أمهاتك " كناية عن كونها بمنزلة أمه إثارة لعطفه وحنانه ليعفو عن ولدها .

الجواب التاسع عشر :

ومن حسن البيان في جواب المرأة واحتجاجها لرد خصمها ما ورد أنه: "قيل لأعرابية مات ولدها: ما فعل ولدك؟ قالت: أكله دهر لا يشبع "([١]).

أراد الخصم تحسير تلك الأعرابية باستفهامه عن ولدها الميت بقوله: (ما فعل ولدك؟) والحال أنه يعلم بموته، فجاء جوابها بالأسلوب الحكيم لعدم توقعه لهذه الإجابة المخالفة لما سأله، فقد ردت رداً فيهه خبرة السنين وحكمتها، وفالجواب فيه استعارة تمثيلية شبهت الدهر الذي أمات ولدها بحيون مفترس يأكل ولا يشبع، فالدهر فاجأها بأكل ابنها لأنه لا يشبع أيضاً.

وتأتي دقتها اللغوية في اختيار (أكل) بدلاً من أماته، أو قتله؛ لأن الأكل لا يختص بنوع من الحيوان دون غيره، ولأنه إذهاب للولد بالكلية فلم يبق منه شيء، ولعلها أشارت لولدها بـ (هاء) الضمير، ولم تصرح باسمه لتحقيق المناسبة وحصول الحسرة، إذ لم يعد حاضراً حتى تخبر عنه

---

[١]) الأجوبة المسكتة ١٧٢ ، ج ١٠١٨.

بالتصريح، فهاء الغيبة مناسبة لغيبة وليدها عن الحياة، وإن كان حاضراً في قلبها كما تفيد الحسرة عليه لغيبته عن عينيها.

ثم عقبت بالاستعارة التمثيلية المكنية في قولها: (أكله دهر) فالدهر لا يأكل إنما الإنسان ثم حذفه ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الأكل والشبع، والاستعارة أوحت بمدى قسوة الدهر، وغلبته وقهره ومفاجأته بالإهلاك ، وشدة المصاب وقسوته .

وفي قولها: (لا يشبع) ترشيح للاستعارة وتأكيد لها بذكر لوازم الأكل المكني به عن الإماتة والإهلاك، وفي هذا قمة البلاغة في إظهار الحسرة والألم عندها لتوحي بمدى قسوة الدهر، والتأكيد علي إهلاكه للبشر جميعاً فهو لا يشبع ولا يتوقف أو ينقطع عن أكل البشر وإهلاكهم ، والتعبير بالمضارع دل علي استمرار الفعل وتجدده، كما يستحضر لنا أيضا صورة الفعل ، ومدي شناعته وقسوته، وجاء النفي بلا في قولها: (لا يشبع) ليدل علي امتداد قسوة الموت وشدته.

ويمكن أن نقول: في هذا الجواب أيضاً كنايتان الأولى أنه مات، والثانية أن هذا هو حال الدهر الذي لا يتغير أبداً.

ثم جاءت بـ (مراعاة النظير) مزيناً لكل هذه النكات البلاغية في قولها: (أكله، ويشبع) لتؤكد على ترابط الكلام وتعانقه ، وبيان مدى تعلقها بابنها.

وتأمل بلاغة تلك المرأة في جوابها بحشد النكات البلاغية، وكثافة الصور البيانية لتوحي بشدة مصابها ، حيث أقنعت الخصم بأوجز عبارة وأبلغها .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمات، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فبعد انتهائي من تحليل أجوبة النساء المتضمنة قوة الحجة ورد الخصم من كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون خلصت إلى النتائج الآتية :

١- لم يكن لابن أبي عون في كتاب الأجوبة المسكتة سوى جمع الأجوبة دون التعليق عليها أو شرحها إلا في القليل، وكان هناك صلة وثيقة ما بين السؤال والجواب، فكلما كان السؤال قوياً كان الجواب قوياً، لكونهما مترابطين كترابط السائل بالمجيب.

٢- ثبت من خلال البحث أن الجواب المسكت يضاهي البلاغة، فهما وجهان لعملة واحدة، إذ يقول العلماء: البلاغة الإيجاز، ومعلوم أن الجواب المسكت يعتمد على الإيجاز بصورة واضحة.

٣- جاءت أغلب أجوبة قوة الحجة للنساء الأشراف؛ وذلك لثقافتهن، ونشأتهن المرفهة، أما أجوبة رد الخصم فهي للجواري أو لعامة النساء اللاتي تعرضن للإهانة والسب مما كان يتطلب منهن الرد والجواب الشافي، أو اللاتي اتصلن بالعلماء، والملوك مما كان له الأثر في تكوين ثقافتهن ورقي أذواقهن وذكائهن فكانت الغلبة والتفوق لهن على خصومهن.

٤- وظفت النساء الحوار في جواباتهن سواء في قوة الحجة أو رد الخصم توظيفاً حيوياً، وذلك في جميع المقامات بهدف الإقناع والإمتاع، وإثارة المتلقي للمشاركة والتفاعل، سواء أجاء منفرداً للتهيئة والتمهيد، أم جاء

عبر قصة قصيرة، وكان يهدف إلى إثبات المعاني الصحيحة، وإبطال الأفكار الخاطئة .

٥- مراعاة أحوال المخاطبين في الجواب، فكانت المرأة تعتمد في جوابات قوة الحجة على عدم فهم النصوص فهماً صحيحاً وكذلك في رد الخصم، وذلك لمعرفتها بالأحوال الاجتماعية للخصم، أو لمعرفتها بأحوال الرجال أو العشاق مما اتخذته متكأ لها في الرد وإسكات الخصم وإفحامه.

٦- جاء الاقتباس مرة في جوابات قوة الحجة للنساء في مقام تصحيح الخطأ، أما في جوابات رد الخصم فقد جاء مرتين للطعن على رأي المخالف ودحضه، أو الطعن فيه نفسه .

٧- نوعت المرأة في استخدام الأساليب في أجوبتها، فقد لوحظ أن الجمل الإسمية جاءت بكثرة خلال الجمل الخبرية، وذلك للتأكيد على ثبات الأفكار الصحيحة ودوامها، بينما جاءت الجمل الفعلية في رد الخصم بصورة أكثر؛ وذلك لاحتياجها إلى التدرج بالخصم حتى تصل به إلى الاقتناع، وجاءت الأساليب الخبرية في جوابات رد الخصم، لما للمرأة فيها من الثقة بنفسها، ولكونها مواقف هادئة، تحتاج منها إلى تقرير الحقائق وإزالة الشك عنها، بينما لم تلجأ إلى الأساليب الإنشائية إلا في الموقف الذي أثارها، واستدعى غضبها، أما في جوابات رد الخصم فقد أتت الأساليب الإنشائية في المقام الأول، وذلك لأنها تريد بها تنبيه الخصم إلى خطئه، وتفنيد رأيه فيعاود تفكيره، فيرجع إلى السلوك الصحيح .

٨- نوعت المرأة في أساليبها الإنشائية في الأجوبة المسكتة، فاستخدمت النداء بصورة كبيرة للتعبير عن ذم الخصم وتحقيره، أو للتحنن للحصول

على العفو، بينما جاء الاستفهام في المواقف التي تتطلب الاهتمام وإنكار الشيء، وجاء الأمر والنهي للتأثير على المخاطب للحصول على العفو .

٩- كثرة المؤكدات في أجوبة النساء التي جاءت لرد الخصم وقلتها في أجوبة قوة الحجة، فجاء القسم مرتين، للتعبير عن السخط والغضب على الخصم، أو للدلالة على الشهرة والانفراد، وجاء التأكيد بالقيود المختلفة كالمفعول المطلق، مرتين في جوابات النساء في رد الخصم، إحداها: للتعبير عن الفصاحة، والتهويل من غزارة الشيء وثانيهما: للتعبير عن شدة المصاب ورد الهزيمة، ثم جاء التقييد بالزمن والظرف في جوابات النساء في قوة الحجة مرة للتعبير عن الاستقامة وشرح الفكرة، والتأثير على القارئ، ومرة في رد الخصم للرد على طعن الخصم، وإبطال دعوته، أما التقييد بالنفي فقد جاء بقلة في جواب قوة الحجة للنساء وكان النفي فيها بـ (ما ، لا ، ولم) ؛ وذلك لتأكيد الفكرة أو لإكساب الجلد والتماسك للمخاطب، أما في جوابات رد الخصم فقد جاءت هذه الأدوات للتأكيد على بطلان رأي الخصم ودحضه وردعه، أو التعبير عن السخط والغضب منه، ثم جاء التأكيد بـ (قد ، وكان) في جوابات قوة الحجة، وذلك لتقوية الدليل وتوكيده، أما في جوابات رد الخصم فقد جاءت بصورة أكبر، لأنها تتطلب تأكيداً من المتكلم لإبطال رأي الخصم ونفوره من الفعل القبيح والرجوع عنه، وخاصة في المواقف التي تتطلب الزجر والردع، وأتى التقييد بالشرط والجواب، وتنوعت أدواته فجاءت (لو) بكثرة لدلالتها على الامتناع وصولاً إلى الاقتناع، والتعجيز عن الرد، ثم جاءت (إن) في المقام الثاني لترد على الشبهات، وتؤكد الفكرة الصحيحة، ثم جاء في المقام الثالث (أما ، أما ، ولما ، من) وذلك لتفصيل الفكرة وتفنيدها.

١٠- جاءت الروابط بأنواعها (الجار والمجرور- والحروف الجارة والعاطفة - والضمائر) في جوابات رد الخصم بصورة أكثر منها في جوابات قوة الحجة، ففي أجوبة قوة الحجة لم ترد (الفاء) سوي مرة واحدة للتعبير عن السرعة وإنجاز الشيء، وجاء الجار والمجرور للدلالة على ترابط الكلام وتعانقه، بينما أتت كل الأنواع في أجوبة رد الخصم؛ وذلك لاحتياجها إلى دحض فكرة الخصم وهدمها، والتشكيك فيها، فتطلب ذلك منها ربط كلامها وتماسكه وحبكه لإقناعه بما تريد، أما الربط بالـ (الواو) في جوبة رد الخصم فقد جاءت في المقام الأول للتعبير عن الترابط والتعانق مما كان له الأثر في إضعاف فكرة الخصم وتقبيحه، أما الفاء فجاءت في المقام الثاني تبعا للسياق والمقام، وخاصة في الجملة المعللة أو الفجائية من النساء، أو في الجمل المتفرقة مما يؤدي بالخصم إلى تشتيته وفقدان قواه في الرد، أما باقي الروابط كـ (الجار والمجرور ، وهاء الغيبة ، والإضافة) فقد جاءت للربط ، والتأكيد على إثبات الأفكار الصحيحة ، والسلوكيات المطلوبة، مما كان له الأثر الكبير على الخصم في إقناعه ببطلان رأيه ، ومراجعة النفس في تعديل سلوكه.

١١- جاء القصر بأنواعه الثلاثة (ما وإلا - وإنما ، وتقديم ما حقه التأخير) في أجوبة رد الخصم، وكانت الأكثرية لـ (ما وإلا)، لكونها تفيد التأكيد والمبالغة في إزالة الشك والإنكار عن الأفكار الصحيحة المخالفة للخصم، والمبالغة في إثباتها، أو مجيئه لذم الخصم والطعن في نزاهته، وجاء القصر بـ (تقديم ما حقه التأخير) في المقام الثاني حيث أتى مرتين ، مرة في التعبير عن الحياء والتلطف والتهذيب، ومرة لاستمالة المخاطب والمبالغة في شدة الاحتياج ، أما القصر بـ (إنما) فقد جاء في المرتبة

الأخيرة، مرة واحدة للتعبير عن التدله في الحب، أما أجوبة قوة الحجة فقد جاء القصر فيها بإنما مرة واحدة للتعبير عن التدله والحب ، وإبطال فكرة الخصم .

١٢- لم يرد الفصل والوصل بين المفردات إلا في رد الخصم؛ وذلك لمحاولة إقناع الخصم بأفكاره الخاطئة ، والرجوع عنها، أما الفصل والوصل بين الجمل في جوابات النساء في قوة الحجة أو رد الخصم، فجاء الفصل بين الجمل للتوسط بين الكمالين بكثرة في رد الخصم وذلك لتحقيق ترابط بين الأفكار وتعانق بين الجمل، وللتأكيد على اقتناع الخصم بضعف حجته ودليله، بينما جاء الفصل بين الجمل وخاصة كمال الانقطاع بلا إبهام لتقبيح دعوة الخصم وبطلانها، أو القيام بالرد عليها، أما الوصل فقد جاء مرة في الرد على الخصم للجمع بين السخط والغضب وعظم الجرم الذي اقترفه الخصم ، ومرة في التحنن والتلطف.

١٣- وظفت النساء الإيجاز بالقصر في أجوبتهن سواء في قوة الحجة أو رد الخصم توظيفاً جيداً، حيث كانت تهدف من ورائه إلى تقرير الحقائق، والوصول بالمخاطب إلى الإقناع والتركيز، أما جوابات رد الخصم فقد جاءت بالإيجاز بالقصر بصورة كبيرة، وذلك لإقناع الخصم بخطئه والتأثير عليه، ولم يأت الإيجاز بالحذف إلا في بعض المواقف التي تطلبت منها سرعة الوصول إلى المطلوب، أو الدعوة للتفكير، وإعمال الذهن، أو للتعبير عن شدة المصاب، ولم يرد الإيجاز بالحذف في جوابات قوة الحجة إلا مرة واحدة في مقام وجازة الفكرة واختصارها، وجاء الإطناب بقلة في جوابات قوة الحجة للتعبير عن شرح الفكرة وتفصيلها، أو للتعبير عن الذم، أما الإطناب في رد الخصم فقد كان للتكرار حضور كبير فيه؛ وذلك لما فيه

من التشويق والإثارة ، أو لردع المخاطب وزجره، أو الحصول على العفو، تلاه الإيضاح بعد الإبهام، وذلك للتشويق وإثارة الذهن إلى التفكير والاقتناع.

١٤- تعاقب الصور البيانية في جوابات رد الخصم في مقام الحديث عن هول المصيبة وشدة المصاب، أما التشبيه فقد وظفته النساء في جواباتهن في قوة الحجة لإيضاح الفكرة وتقريبها، فجاءت بالتشبيه المرسل، ثم عقبت بالتشبيه التمثيلي وذلك لتثبيت الفكرة وتوكيدها.

١٥- وظفت النساء المجاز في أجوبتهن سواء في قوة الحجة أو رد الخصم، ولكنه جاء في جوابات رد الخصم بكثرة وبصورة واضحة، أما الاستعارة سواء أكانت تمثيلية أو تبعية أو مكنية فقد جاءت في المقام الأول للتأكيد على التماسك والجلد في جوابات قوة الحجة، أو للتعبير عن الكمال والنفاذ، أو الحسرة والحزن، أو التعبير عن شدة الحب في جوابات رد الخصم، كما جاءت الكناية في أجوبة النساء في المقام الثاني لإيجازها وقدرتها على إقناع الخصم لكونها بمثابة الدعوى بالدليل، وكانت الكناية عن صفة في المرتبة الأولى، بينما لم ترد الكناية عن موصوف إلا مرتين في جوابات رد الخصم، إما لإخفاء العقيدة، أو للحياء وإثبات العفة والنزاهة، والثأر للكرامة، بينما جاء التعريض في المقام الثالث في جوابات رد الخصم، وذلك للتلطف بالخصم، أو الحياء أو هرباً من التطفل والإحراج، أو خشية من إظهار العقيدة، وجاء المجاز المرسل في المقام الرابع في جوابات رد الخصم للتعبير عن شدة الحب أو الذم والتحقير، أو التأكيد على الاستقامة في جواب قوة الحجة .

١٦- أما عن المحسنات البديعية (الطباق، مراعاة النظير، التورية، المبالغة، الجناس، رد العجز على الصدر، السجع) فقد تفننت النساء

بتزيين كلامهن وجواباتهن به سواء في جوابات قوة الحجة أو في رد الخصم، ولكنه أتى بكثرة في جوابات رد الخصم ؛ وذلك لضمان التفوق والغلبة على الخصم، والتأكيد على الفكرة الصحيحة عن طريق إيهامه وخداعه، وأتى الأسلوب الحكيم في المقام الأول؛ وذلك للتحايل على الخصم وإبهامه ، مما كان له الفضل في إقناعه، ثم جاءت المقابلة والطباق في المقام الثاني ، للتأكيد على المفاهيم الصحيحة ، وإبطال المخالف منها، ثم جاء مراعاة النظير في المقام الثالث سواء في جواب قوة الحجة أو في رد الخصم، وذلك للتآخي والتعانق بين الجمل من خلال إثبات المعاني المطروحة سواء كان بإثباتها أو نفيها، ثم جاءت التورية في المقام الرابع في الأشياء التي تحتاج إلي إبهام وتغطية، ثم جاءت المبالغة في المقام الخامس في الأشياء التي تحتاج إلى تهويل ومبالغة، ثم جاء الجناس ورد العجز على الصدر في المقام السادس للأفكار التي تحتاج إلى تقرير من المتكلم ، أو تحقير الخصم وإضعافه، ثم جاء السجع في المقام السابع للتأثير على وجدان السامع بمعرفة خطئه ، فيرجع عنه ويرتدع، ثم جاء الاقتباس في المقام الثامن للطعن في رأي الخصم وتشكيكه والتأكد من خطئه في رد الخصم أما جوابات قوة الحجة باستقرار الاطمئنان للنصوص الصحيحة وفهمها بتمعن .

وفي نهاية المطاف يوصي البحث بضرورة النظر إلى أجوبة النساء المسكتة في كتب التراث على الجملة وبيان أبرز ملامحها البلاغية ومقارنة القديم بالحديث منها، وكذلك المقارنة بين بلاغات النساء في الماضي والحاضر وبيان أبرز خصائصها.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم جل من أنزله.
- أولاً: فهرس الكتب
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي تح د/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .
- الأجوبة المسكتة لابن أبي عون (ت ٣٢٢هـ – ٩٢٤م) تح د/ مي أحمد يوسف ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط٢ ، ١٩٩٦م .
- الأحكام السلطانية للماوردي ، دار الحديث – القاهرة ، (د–ت) .
- أدب الوصايا في نهج البلاغة قراءة في خصائص الأسلوب ، د/ مزاحم مطر حسين .
- الأذكياء لابن الجوزي ، مكتبة الغزالي ، (د – ت) .
- أساس البلاغة للزمخشري تح د/ محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم د/ عبد الحليم حفني ، الهيئة المصرية – العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٩٥م .
- الأسلوب الكنائي د/ محمود شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
- الإعجاز والإيجاز للثعالبي ، مكتبة القرآن بالقاهرة.

- الأعلام للزركلي ، دار العلم للملايين ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢م .
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء نموذجاً دراسة حجاجية ، د/ هشام بلخير ، جامعة النجاح لخضر باتيه ، كلية الآداب واللغة - الجزائر ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .
- ألفاظ النفس وصفاتها في القرآن الكريم د/ زيد حسين ، جامعة النجاح، ٢٠٠٩ م .
- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي د/ محمد حسن إسماعيل ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .
- الإيضاح للخطيب القزويني، .
- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ، (د - ت) .
- البداية والنهاية لابن كثير تح د/ علي شيري ، دار إحياء التراث العربي (د-ت) .
- البديع في ضوء أساليب القرآن د/ عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

- البرهان في علوم القرآن للزركشي تح د/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسي البابي الحلبي وشركاه ، ط١ ، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٧م .
- بلاغات النساء لابن طيفور شرحه د/ أحمد الألفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول – القاهرة ، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م .
- البلاغة الاصطلاحية د/ عبد العزيز قلقيلة
- البلاغة العربية لعبدالرحمن بن حبنكة الميداني دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٤م .
- البلاغة فنونها وأفنانها د/ فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط٣ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- البيان والتبيين للجاحظ تح د/ فوزي عطوي ، دار صعب – بيروت ، ط١ ، ١٩٦٨م .
- تاج العروس للزبيدي ، تح مجموعة من المحققين ، دار الهواية (د – ت) .
- تاريخ بغداد وذيوله للخطيب البغدادي تح د/ عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٧١هـ .
- التاريخ الكبير للبخاري ، دار المعارف العثمانية ، حيدر آياد الدكن (د – ت) .
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب د/ عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط٤ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- تجديد النحو د/ شوقي ضيف ، دار المعارف ، (د- ت) .
- تحرير التحبير صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري تح د/ حفني شرف القاهرة – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م المجلس الأعلي للشئون الإسلامية.
- التشبيهات لابن أبي عون، عني بتصحيحه محمد عبدالمعيد خان، طبع في مطبعة جامعة كمبردج ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م.
- التفكير النقدي عند العرب د/ عيسي علي العاكوب ، دار الفكر – دمشق – سوريا ، ط٧ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م .
- التعبير الفني في القرآن د/ بكري شيخ أمين ، دار الشروق ، ط٢، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .
- التعريض في القرآن الكريم د/ إبراهيم الخولي ، دار البصائر ، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
- تهذيب الأسماء واللغات للنووي صححه شركة العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د – ت) .
- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري تح د/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تح د/ أحمد البرودي د/ إبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .

- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري تح د/ سهيل زكار ، د/ رياض الزركلي ، دار الفكر – بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
- الحيوان للجاحظ تح د/ عبد السلام هارون، دار الجيل ، لبنان – بيروت ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
- خزانة الأدب لابن حجة الحموي، تحقيق : عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.
- دلالات التراكيب دراسة بلاغية د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م
- ديوان جرير / تح / محمد حبيب / الناشر / بيروت / لبنان.
- ديوان جرير / نشر دار الأرقم بن أبي الأرقم / بيروت / لبنان / ط أولي ١٩٩٧م – ١٤١٧هـ.
- ديوان حسان بن ثابت ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري مؤسسة الأعلمي – بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
- روح المعاني للألوسي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٢هـ – ١٨٨٢م .

- شرح ألفية ابن عقيل على ألفية ابن مالك تح / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث القاهرة ، ودار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه ، ط٢٠ ، ١٤٠٠هـ .
- شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل لأبي حامد الغزالي الطوسي تح د/حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد– بغداد، ط١ ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م.
- شرح شواهد المغني للسيوطي د/ أحمد ظافر كوجان ، لجنة التراث العربي ، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .
- الصبغ البديعي في اللغة العربية د/ أحمد موسى ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة – ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .
- صحيح مسلم تح د/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي – بيروت (د–ت)
- صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم للسيوطي ، دار ابن حزم ، ط٢ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٢م .
- الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي تح د/ عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤٠٦هـ .
- الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي د/ بهيج مجيد القنطار ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
- الطراز للعلوي ، طبع المكتبة العصرية بيروت ، ط١، ١٤٢٣هـ .

- عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي تح د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .
- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .
- علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع دراسة بلاغية د/ مختار عطية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، (د – ت) .
- عيون الأخبار لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٨هـ .
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري حققه د/ محمد إبراهيم سليم ، دار العلم للثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر (د- ت).
- الفهرست لابن النديم تح د/ إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- القاموس المحيط للفيروز ابادي تح/ مكتب تحقيق التراث عن مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، ١٤٢١هـ .
- قراءة في الأدب القديم د/ محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٤ ، (د-ت) .
- كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني علق عليه/ محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة – مطبعة المدني بجدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

- الكليات للكفوي تح د/ عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
- الكناية والتعريض للثعالبي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .
- لسان العرب لابن منظور ، دار صادر بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ.
- اللطائف والطرائف للثعالبي ، دار المناهل بيروت ، (د – ت) .
- المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي تح د/ عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
- مختصر صحيح البخاري للألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .
- المخصص لابن سيدة المرسي تح د/ خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
- المستطرف في كل فن مستطرف لشهاب الدين الإبشيهي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
- المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ، تح د. كمال يوسف الحوت ، طبع مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١٤٠٩هـ.
- معترك الأقران للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
- المعجم الوسيط د/ إبراهيم مصطفي وآخرون تح مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة (د– ت) .

- معجم البلدان لابن ياقوت الحموي ، دار صادر – بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥م .
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة الدمشقي ، مكتبة المثني ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، (د – ت).
- معاني النحو د/ فاضل صالح السامرائي ، ط دار الفكر ، عمان – الأردن ، (د–ت) .
- مقاييس اللغة لابن فارس تح/ عبد السلام هارون ، مكتبة مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط٢ ، ١٣٩هـ – ١٩٧٠م .
- من بلاغة القرآن د/ أحمد بدوي ، نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٥ م .
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي تح د/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٤، (د–ت).
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ، (د– ط – ت) .
- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ط١ ، ١٤٢٣هـ .
- الوافي بالوفيات للصفدي تح د/ أحمد الأرناؤوط – د/ تركي مصطفي ، دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

ثانياً: الرسائل الجامعية:

- بلاغة الحجاج النبوي في صحيح مسلم للباحث عبد المحسن محمود منصور، دكتوراه مخطوطة بجامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالمنوفية ، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م .

ثالثاً: المجلات والأبحاث المنشورة:

- الحضور البلاغي في الأجوبة المسكتة (الإيجاز ، الكناية ، حسن التعليل ، الاقتباس) د/ منيرة محمد فاعور ، مجلة التراث العربي اتحاد الكتاب العرب دمشق ، مجلد ٣٢ عدد ١٣ ، ١٣٠٤هـ - ٢٠١٤م .
- بلاغة الأجوبة المسكتة الأسلوب الحكيم نموذجاً منيرة محمد فاعور، مقال بمجلة جامعة دمشق مجلد ٣٠ ، العدد ٣٣ ، ٢٠١٤م .
- أدب الحوار وقواعد الاختلاف د.عمر عبدالله كامل ، المؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . (د - ت).

(**تم البحث**)